



أبو القاسم محمد كرّو

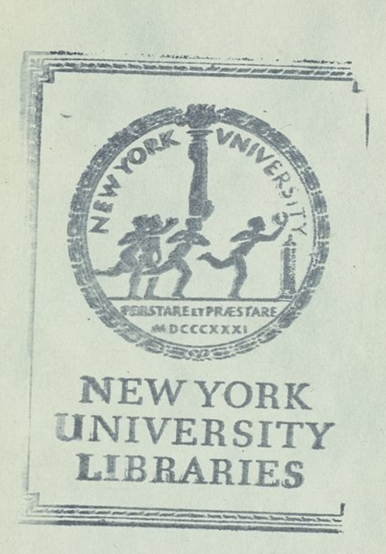




إعادة نشر
1986

منشورات الطليعة


BOBST LIBRARY
3 1142 02841 4269


NEW YORK VNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI

كتاب البعث

نداء للعمل

أبو القاسم محمد كرو

فكر حر
و
حياة أفضل

هولاء الادباء

يساهمون جميعا في سلسلة (كتاب البعث) :

عثمان الكعاك
الهادي المدني
محجوب بن ميلاد
محمد الحليوي
احمد رضا حوحو
محمد مزالي
الشاذلي القليبي
محمد العروسي المطوي
الطاهر الخميري
عبد الله شريط
محمد عامر غديرة
مصطفى الفيلالي
الطيب التريكي
توفيق بو غدير
ابو القاسم محمد كرو

كتاب البعث

نداءٌ لِلعَمَل

« ليس العاطل من لا يؤدي عملا فقط
« بل عاطل ايضا من يؤدي عملا في
« وسعه ان يقوم بما هو اجل منه !
- سقراط -

ابو القاسم محمد كرّو

الكتاب الاول

اكتوبر – ١٩٥٥

الطبعة الاولى

هذا المشروع

في مغربنا العربي إمكانيات زاخرة في شتى الميادين ، وفي ابنائه قابليات كثيرة للعمل والبناء ... وهو الى ذلك غني بتراثه وماضيه ، فخور بحاضره الباسل المجيد ، عامل متفائل لمستقبله المنتظر . ومع هذا يعاني مغربنا العربي نقصا فادحا في كثير من الميادين .. مما جعل وثبته المعاصرة ذات ثغرات عديدة . فكان من الواجب العمل على سدها جميعا لتستكمل نهضته عناصرها وتقوم حياته على دعائم وطيدة دائمة .

ولعل ابرز هذه الثغرات واوسعها فراغا ، ما يتصل بالفكر والقلم ويعود الى النشر والتوزيع .

فحركة النشر عندنا غير منظمة . ونتاج ادبائنا

مجهول ومغمور . وجهودنا في هذا السبيل مشتتة فلا غاية ترمي لها ، ولا منهاج يسدد خطاها ويسير بها الى ما نصبو اليه من انبعاث واحياء وتأثير .

ولم يكن هذا الفراغ الواسع لعقم او قصور في اقلامنا ومفكرينا ، فان في المغرب العربي افذاذا في الفكر والادب وشتى نواحي المعرفة ، تعتز بهم الامة العربية ويزهو بمكانتهم فكرها الحديث . وانما كان ذلك بسبب ما عليه المغرب من كفاح متواصل لم ينته ، وانشغال قرائه بما يفد من هنا وهناك ، شرقا وغربا .

اما اليوم فقد تغير الحال تماما ، واصبح القراء في بلادنا يدركون واجبهم من جهة ويعتزون باقلامهم من جهة اخرى . وهذا ما حفزنا الى الاقدام على اظهار هذا المشروع ، الذي لا ننتظر له النجاح المادي وسعة الانتشار فقط ، بل ان يؤدي رسالته الثقافية والقومية في جميع انحاء المغرب العربي ، اداء يليق بعظم الرسالة ويجدر بهذا الشعب ان يتصف به .

اما المشروع نفسه ، فاننا لا نرغب في ان نتحدث عنه كثيرا بل نترك أعماله تترجم عنه ، وليس القول كالعمل .

غير اننا لانريد ايضا ان نترك القراء يتساءلون عن امر هذا المشروع ، أو يرجمون عنه بالغيب . وأول شيء نقوله لهم :

ان هذا المشروع ليس الا سلسلة كتب دورية غايتها الاولى المساهمة في نهضة المغرب العربي المعاصرة ، وتسجيل تاريخه الحديث في الفكر والادب والنضال القومي .

وغايتها الثانية تيسير الوان المعرفة الى جميع القراء باصدار حلقات تمتاز بكونها :

زهيدة الثمن

سهلة الاسلوب

جديدة المعلومات

تصور الواقع وتدفع للامام

اما غايتها الثالثة فتوجيه حياتنا ومجتمعنا نحو مستوى افضل في كل الميادين .

ولها غاية رابعة هي حفظ تراثنا الحديث من التلاشي والاهمال ، والخروج بمصير القلم والفكر في المغرب العربي من الركود والصمت والاستسلام .

والخلاصة ، اننا نريد ان نجعل من « كتاب البعث » بعثا لحرية الفكر والقلم ، وللتأليف والنشر ، وان نجعل

منه ايضا مرآة للحاضر الباسل وطريقا للغد المجيد.

ونأمل ان يكون هذا المشروع ، كتاب كل مواطن ورفيقا له ، ورائدا وبشيرا !!

أيها المواطن !

ذاك هو مشروع «كتاب البعث» الثقافي الشعبي الصميم ، وقد شرحناه لك باختصار في الصفحات السابقة ولا نريد ان نشبعك كلاما بل عملا ايجابيا حقيقيا منظما . وهذا ما ستراه في الحلقات القادمة إن شاء الله

ولا تنظر منك ان تساهم فقط بشراء كل حلقة تصدر او ان تشترك في سلسلة كاملة مقدما ، فان ذلك هو واجبك الذي سيدفعك اليه وعيك وتقديرك لاهمية المشروع وضرورته لبلادنا .

ولكننا ننتظر منك ان تكتب لنا دائما بآرائك وملاحظاتك واقتراحاتك حول المشروع من كل ناحية ، وحول كل حلقة تصدر منه ، وثق بان لرأيك عندنا قيمة كبيرة ، واننا نرحب بكل الآراء ، ونعمل على تحقيق ما نستطيعه منها . فلنتعاون جميعا لخير بلادنا ورفع شأن القلم والفكر في حياتها .

- كتاب البعث -

سير السلسلة

١ - يظهر الكتاب الاول في غرة اكتوبر ١٩٥٥ وعنوانه (نداء للعمل) تأليف ابو القاسم محمد كرو .

٢ - يظهر الكتاب الثاني في غرة نوفمبر ١٩٥٥ وعنوانه (مع الشابي) للاستاذ محمد الحليوي . ثم تتوالى الحلقات في غرة كل شهر

٣ - ثمن النسخة الواحدة في جميع انحاء المغرب العربي ١٢٠ فرنكا .

٤ - وللمساهمة في تقدم المشروع يمكن الاشتراك فيه كما يلي

في المغرب العربي	١٢ حلقه ١٥٠٠	-	٦ حلقات ٨٠٠
للطلبه	« ١٢٠٠		« ٧٠٠
في الشرق العربي	« ٢٠٠٠		« ١٢٥٠

العنوان :

ابو القاسم محمد كرو ص. ب ١٠٧ تونس

الحساب الجاري بالبريد ٢٨ - ٣٢٢

فوائد الاشتراك

كل من يشترك في هذه السلسلة يحقق لنفسه الفوائد التاليه :

١ ـ يصل اليه كل كتاب قبل توزيعه باسبوع على الاقل.

٢ ـ يصل اليه الكتاب الثاني (مع الشابي) قبل توزيعه للمكتبات باسبوعين .

٣ ـ يحصل على الحلقات الممتازة دون زيادة في الثمن

٤ ـ يحصل على هدايا خاصة ذات قيمة ادبية ومادية

٥ ـ يكون له شرف المساهمة في نجاح المشروع وازدهاره .

٦ ـ له حق الحضور مجانا في الندوات الثقافية والحفلات الاجتماعية التي سينظمها المشروع .

٧ ـ كل من يقدم ١٠ مشتركين يستحق اشتراكا مجانيا مماثلا لاشتراكهم .

ملاحظة : الطابة وغيرهم في هذه الفوائد سواء

الاهداء

الى الذين يعملون ، ويؤذي نفوسهم
ان لا يعمل الآخرون . !

الى كل عامل مثابر ، بالفكر او
باليد ، او بهما معا :

ارفع هذا الكتاب

آملا ان يقرأه الناس من خلال
دوافعه واهدافه ، وليس غير !

أ.م.ك

المقدمة

يحتوي هذا الكتاب على محاضرتين القيتا في اسبوع واحد تقريبا . فقد القيت الاولى يوم ١٨ / ٢ / ٥٥ والقيت الثانية يوم ٢٥ / ٢ / ٥٥ .

وقد فضلت نشرهما بعد تنقيح بسيط استطيع ان أؤكد معه بان شيئا مما اعلن فيهما سابقا لم يتغير ، وان التنقيح قد تم بزيادة افكار او ملاحظات جديدة .

وعلى الرغم من ان تطور الحوادث وسير الحياة في في بلادنا ، قد يقتضي تصميما معينا وآراء اخرى ، الا انني اعتبر ما في هذا الكتاب مساهمة واضحة في انارة الطريق للرأي العام لكي يدرك الحقائق ، ويواجه المستقبل بفهم سديد وقابلية اكثر .

وفي هذه الفترة من تاريخنا ينبغي ان لا يحجم احد عن ابداء رأيه في حاضر شعبنا ومستقبله ، وان لا يتأخر عن القيام بواجبه في اي ميدان يستطيع العمل فيه .

ومن هنا لم اتاخر عن نشر هذا الكتاب باعتباره محاولة سريعة لفهم مشاكلنا القائمة والقاء ضوء على طرق علاجها ، بما يضمن لشعبنا حياة افضل وينتشله من الاخطار التي تحيط به في جميع الميادين .

وأحب ان يعلم القراء سلفا ، بان الكتاب لا يحتوي على مشاريع تفصيلية لاي قضية اومشكلة تعرض لها، لان ذلك من اختصاص المنظمات والمؤسسات والمصالح الادارية المسؤولة عن هذا الامر .

وقد سبق ان اعلنت في المحاضرتين ان منظماتنا توالي العمل والدراسة لوضع البرامج الكفيلة بحل مشاكلنا سواء عن طريق الحكومة او عن طريق المنظمات نفسها وقد ظهر في الصحف خلال الستة شهور الماضية كثير من المقالات والدراسات القيمة حول بعض المشاكل التي تعرضت لها .

ومن الواضح ان هذا الكتاب لا يمثل الا وجهة نظر

شخصية قد تتفق كلها او بعضها مع آراء الآخرين ، وقد تختلف ، ولكن ذلك لا يمنع من اعلانها ، ولا يمنع من مناقشتها ايضا .

وليس على الذين يختلفون معها الا ان يجادلوها بالتي هي احسن حتى يتبين طريق الصواب والحق ، فنسير فيه جميعا متآخين متعاونين على كل ما ينفع بلادنا ويعلي شأنها .

ولنذكر جميعا ان شعبنا لم يصل بعد الى كل ما يريد ولم يذق حتى الآن طعم الحرية ، والعدالة والاستقرار . وان بينه وبين غاياته تلك كفاح شاق ونضال عنيد ، فمن الحق له والبر به ان لا يتأخر احد عن القيام بواجبه نحوه وان يدرك كل مواطن ان بلاده بظروفها القاسية واوضاعها الراهنة ، هي باشد الحاجة الى كافة ابنائها ، وان على كل فرد منهم ان يؤدي لها زكاة صالحة من فكره وعمله وحياته .

واخيرا ، اود ان أنبه القارىء الى ان بعض الافكار والآراء قد تكرر ذكرها في المحاضرتين وقليلا ما تكررت في المحاضرة الواحدة ، وسبب ذلك ان كل محاضرة كتبت منفردة والقيت في جمهور ومكان ليس هو جمهور ومكان المحاضرة الاخرى

وقد اقتضى هذا الوضع استعادة افكار معينة ، إما لاهميتها او لعلاقتها الوثيقة بموضوع جديد . فلما جمعت المحاضرتان في هذا الكتاب بقي كل ما فيهما كما القى في حينه . ولا تنس ان كل محاضرة كتبت لتسمع ، فكان من المناسب استعادة بعض الافكار لبناء افكار جديدة عليها ، او تذكير السامعين بها . وما يكتب ليسمع غير ما يكتب ليقرأ ، فان السامع قد ينسى كثيرا من نقاط الموضوع وآرائه كلما امتد به الاستماع فلا يمكنه الرجوع اليه ، بينما القاريء يمكنه ان يستعيد ما يشاء بالرجوع الى صفحاته السابقة .

وخلاصة القول :

ان هذا الكتاب لا يعطى لنفسه اهمية خاصة ، ولا يريد أن يقول لاحد بالذات : هذا طريقك ! وكل ما يهدف الى تحقيقه هو ان يرى حياة شعبنا تسير دائما وبسرعة نحو الاحسن والافضل في جميع الميادين ، وان يكون سيرها من عمل ابناء الشعب وحدهم .

تونس ١٥/٩/٥٥ — ابو القاسم محمد كرو

النّوادي والجمعيّات في العراق

ليست الوطنية ان تحب وطنك فحسب
بل ان تعمل ايضا شيئا من اجله . !

(ألقيت هذه المحاضرة يوم ١٨/٢/٥٥ تحت اشراف جمعية قدماء الصادقية وبطلب منها)

تمهيد

أيها الملأ الكريم :

إنها لمناسبة طيبة هذه التي تتيحها جمعية قدماء الصادقية في عهدها الجديد ، هذا العهد الذي اتمنى ان يزدهر ويثمر ويساهم في بناء صرح المستقبل الثقافي والاجتماعي لبلادنا واي مناسبة اطيب من مثل هذه الاجتماعات الحية التي تعرض فيها موضوعات تهم الرأي العام او مشاكل يعانيها الشعب فيدار حولها القول وتحتك الاراء لتعطي زبدة نافعة من الحلول العملية او تقدم خميرة صالحة للبناء والعمل الحقيقي .

فمما لا شك فيه ان نخبة (١) اي شعب مسؤولة عن

---

(١) لا تعنى كلمة « النخبة » هنا ، وفي الكتاب كله ، الا الافراد المتصفين بالاخلاص وحب الصالح العام ، ولهم مع ذلك كفاءة تنفع الشعب فى اي ميدان من الميادين .

مصير شعبها، ومن هنا وجب عليها ان تبصر مواطنيها الى طريق الحياة والحضارة، وان تقود خطاهم وتسدد اتجاههم وتنير عقولهم بوعي رشيد وافكار حرة، تعلم الفرد واجباته وتربي خلقه على تحمل المسؤولية وانماء الشعور بالكرامة الفردية (١) والكرامة الجماعية حتى ينتظم هذا الشعب في ركب الحضارة ويأخذ باسباب التقدم، ويقف مرفوع الرأس بين شعوب الارض . ولن يقف شعبنا مرفوع الرأس بمجرد ان يكون مستقلا سياسيا فحسب، فان الاستقلال بكل انواعه وعلى مختلف درجاته ليس الا وسيلة لبناء حياة الشعب الحاضرة والمستقبلة على اساس وطيد من الحرية والكرامة والعمل الدائم في سبيل توفير الرخاء والتقدم والعدالة لجميع المواطنين . وهكذا يتحتم العمل في جميع الميادين بكل نشاط واخلاص وبكل شمول واتساع . اذ ليس من شيء يرفع رأس شعبنا بين الشعوب بعد الاستقلال السياسي

---

(١) عرف الفيلسوف الانكليزي «برتراند رسل» الكرامة الفردية بقوله: «ان شعور المرء بكرامته يعني معرفته لقيمته الذاتية واهميته من حيث هو انسان وعدم تضحيته بمصالحه في سبيل مصالح الغير» يقصد بالغير هنا المصالح الفردية للناس الاخرين، وليس المصلحة العامة.

- ان لم يكن معه - كالمستوى الراقي لحياة المواطنين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

ولست اشك لحظة في ادراك حضراتكم لتلك المعاني كلها ، ولما يتطلبه شعبنا من سرعة في الانجاز واخلاص في التوجيه وحاجة ملحة عاجلة للمشاريع الانشائية ذات الاثر الفعال في حياة المواطنين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

لقد بلغ شعبنا درجة عالية من الوعي الوطني والرشد السياسي بفضل كفاحه المتواصل الحلقات وبراعة زعمائه واخلاصهم في قيادته ؛ مما سلب اعجاب العالم وجعل الاعداء والخصوم يعترفون لا باهلية شعبنا لان يدير نفسه بنفسه فقط ، بل وببطولة كفاحه وعظيم تضحياته وبحنكة وتقدير زعمائه .

ولست اشك لحظة ايضا في ان شعبنا سينال استقلاله الكامل شاء الاستعمار ذلك ام لم يشأ ، ولكني احس منذ الآن كما يحس كل واحد منكم بان الاستقلال لن يكون عبئا سهلا ، اذ لن يكون افراحا ومسرات ، ولا معجزات تهبط من السماء لمجرد نوالنا له ، فتحول حياة الناس في ايام معدودات

من كل ما هو سيء ومتأخر الى كل ما هو حسن ومتقدم. فيرفع الجهل والمرض والفقر عن سواد الشعب الاعظم وتختفي من اداراتنا الرشوة والمحسوبية والوساطات، تلك الامراض المتعفنة الخبيثة التي أكلت ضمير الموظف وافسدت اخلاق المواطنين واصابت القيم العادلة في الصميم، حتى اصبح كثير من الموظفين يعتقدون بان اعمالهم الادارية لمصالح الناس انما هي سلطة عليهم او مزية وفضل على كل من يتصل بهم او يراجعهم في امر من الامور

ومن هنا احس بان الاستقلال - خاصة اذا لم يكن استقلالا كاملا - سيكون عبئه ثقيلا، واخطار الانحراف به جسيمة متعددة، وبان توطيد دعائمه لفائدة الشعب وحده سيكون اصعب من الكفاح في سبيله، وان مواهبنا كلها لاتكفي لعلاج مشكلاته وللقضاء على ما ينجم عنها من انتهاز وتردد واحتكار، وهي كلها ستظهر حتما شئنا ام ابينا، وانما يمكننا تلافي أخطارها او تقليلها على الاقل، اذا نحن اضفنا الى مواهبنا شيئين آخرين :

الاول : الاخلاص الكامل لهذا الشعب الذي اكل حقوقه ومواهبه سرطان الانحطاط في العصور المظلمة، ثم

سرطان الاستعمار في العصر الحديث . وان ذلك الاخلاص الكامل ليقتضينا ان ننقطع لخدمته كل في ميدانه الخاص ، وان نقدم مصلحته وفائدته على جميع مصالحنا الشخصية وفوائدنا الخاصة .

الثاني : التوجيه الرشيد والبناء الشامل ، وخاصة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، حيث لا يزال شعبنا في حاجة ملحة الى تربية اجتماعية تقدمية ، خالية من الخرافات والتقاليد الفاسدة ومركبات الجهل والنقص المختلفة ومفعمة بالرشد والسلوك النير النقي .

ان الامر الاول موكول الى ضمير كل مواطن مهما كانت درجة ثقافته وكانت مهنته ، اما الثاني فهو من واجبات القادة واعمال المؤسسات والجمعيات التي تكونها النخبة وتديرها وهكذا تبدو مسؤولية القادة والنخبة كبيرة ، وواجبات الجمعيات المختلفة ذات خطر ومفعول عظيمين .

ولقد سررت جدا عندما بدأت جمعية قدماء الصادقية تفكر بهذه الروح نفسها ، وتتخذ اسلوبا عمليا في توجيه الشعب وعلاج مشكلاته . وعلى الرغم من ان نطاقها لايزال محصورا

في نطاق المثقفين الا انني اتوقع منها اتساعا في العمل وشمولا في التوجيه ، وادعوها بصورة خاصة الى علاج مشاكلنا الاقتصادية قبل كل شيء ، فان الخطر يكمن دائما في الاقتصاد والتأخر والنهوض انما يبدآن منه • ثم عليها ان توجه عنايتها الى مشاكل التعليم ومقاومة الامية في بلادنا ، وكذلك بتوجيه الشباب نحو السلوك الاجتماعي الراقي وتربيته تربية عملية مثمرة ، وتوجيه ثقافته وعقليته توجيها علميا او اختصاصيا فنيا صرفا •

وفي اعتقادي ان السبيل الى ذلك هو المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية الموجهة عن طريق لجان تكونها الجمعية من اعضائها • وكل هذا قد فكرت فيه الجمعية – حسبما علمت – فبعد المحاضرة القيمة التي القاها الاستاذ علي الزواوي (١)، تثير اليوم مشكلة مهمة هي مشكلة النوادي وطريقة الاستفادة منها في التوجيه الاجتماعي والحياة العامة •

ولست ازعم لكم ان عندي اختصاصا او الماما شاملا بالموضوع ، كلا • وانما فقط رغبت في المساهمة المحدودة

(١) القيت هذه المحاضرة حول الاقتصاد التونسي في يوم ٥٥/٢/٤ وكان لها صدى كبير في الرأي العام •

بتقديم انطباعاتي وملاحظاتي عن عدد من النوادي والمؤسسات الاجتماعية في العراق ، وعن بعض اعمالها الانشائية في حياة الشعب واهدافها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ؛ وذلك كي يمكن لنا ان نستفيد او نقتبس منها بعض النواحي التي هي ليست عندنا او غير شائعة شيوعا كاملا في بلادنا .

نظـرة تـــاريخية

لعل من المفيد والطريف في وقت واحد ، ان نلقي نظرة تاريخية عابرة وموجزة معا على النوادي والمجامع التي كانت تقوم بدور اجتماعي او ثقافي عام .

اليونان :

عرفت النوادي عند اليونان وكانت دينية اول الامر ثم اتسع نطاقها وتعددت فنونها فكانت ذات اثر فعال في حياة الناس الاجتماعية والعقلية ، وما مجالس سقراط وافلاطون وارسطو الا نموذج فذ ممتاز للنوادي التي تقوم بدور ثقافي واجتماعي في وقت واحد ، وان كانت ذات مستوى عال وتحتاج الى درجة كبيرة من الثقافة والتفكير الفلسفي ، وليست جمهورية افلاطون الا حوارا فلسفيا

يدور في مثل هذه المجالس العالية بين فريق من رواد الفلسفة ودعاتها .

كذلك كانت النوادي الرياضية وملاعب « الاولمب » تقوم بدورها الاجتماعى في الحياة اليونانية القديمة سيما عند الاسبارطين الذين كانوا يهدفون من تربية الفرد عندهم الى تنمية القوة الجسمية وتقوية روح الشجاعة والاقدام . بينما كان الاثينيون يهدفون من تربية الفرد الى تنمية القابلية العقلية وقوة التفكير .

اما المسارح فكانت تعرض فيها المسرحيات التي تمثل حياة الآلهة او حياة الناس وكثيرا ما كانت تدافع عن التقاليد وتهاجم الفلسفة حينما اخذت تنتشر وتعمل على تقويض تلك التقاليد نفسها . وقد استطاعت بعض هذه المسرحيات وهي كوميديا « السحب » ان تبعث برجل عظيم كسقراط الى الاعدام .

الرومان :

اما الرومان فقد كانت نواديهم اشبه ما تكون بنوادي العصر الحاضر . وتعتبر خطب شيشرون بمثابة الاساس الذي مهد لظهور النوادي ، حتى اذا ما انتشرت

كانت الخطابة والشؤون السياسية هي الغالبة عليها ، ثم اتسعت بعد ذلك اتساعا كبيرا فشملت الشعر وبقية الفنون الاخرى التي كانت شائعة عند الرومان . كما ان الحمامات الرومانية لم تكن خاصة بالاستحمام والنظافة فقط بل كانت تقوم بدور اجتماعي كبير في حياة الرومان اذ ان كثيرا من المناقشات والامور الهامة كانت تبحث فيها ، وبذلك صارت اشبه شيء بنواد عمومية . هذا بالاضافة الى ملاعب المصارعة والمسارح التمثيلية التي اشتهر بها الرومان وتركوا آثارا كبيرة منها في كل الاقطار التي حكموها .

العرب :

اذا اعتبرنا غنى اللغة وثراءها بالمفردات الحية ذات المعاني الحضارية مقياسا من مقاييس حياة الامم ورقيها، فان اللغة العربية تمدنا في هذه الناحية بنصيب وافر من المعلومات .

وبخصوص موضوعنا الحاضر ، وهو النادي ، فاننا نجد في أقرب معجم واصغره واحدثه ، المعاني التالية :
ندا القوم يندو ندوا ، بمعنى اجتمعوا وحضروا النادي . ويقال ما يندوهم النادي اي ما يتسع لهم،وحضروا

النادي اذا اجتمعوا فيه ، وانتدى القوم : اجتمعوا في النادي ، وانتدى الرجل : حضر النادى ، واذا كان النادي لغة هو المجلس ما دام فيه قوم جالسون فان كلمة « الندوة » تعني الجماعة ، وتعنى الدار التي يجتمع فيها ويرجع اليها في الامور للمشاورة ، وفي اللغة كذلك مفردات اخرى على صيغ الاشتقاق المختلفة من المادة نفسها

ونلاحظ هنا ان اصل الكلمة عربي اي انها ليست من الدخيل ومعنى ذلك انها وضعت من العرب انفسهم لتعبر عن معنى انبثق في حياتهم وصورة من مجتمعهم ،

واذ كانت الكثرة الكاثرة من العرب قبل الاسلام قبائل مبعثرة هنا وهناك ، فان القبيلة كانت تكون وحدة اجتماعية قائمة بذاتها ، تربط افرادها سلسلة نسب موحدة وذكريات كثيرة مشتركة ، وكان لكل قبيلة شيخ يعينه بالمشاورة كبار القبيلة ، ومن هنا بدأت المجالس القبلية تهيء نوعا بسيطا من المجالس والنوادي التي تبحث في شؤون القبيلة العامة ، ولا شك في ان احاديث اخرى اجتماعية او شخصية كانت تدور فيها ، ثم كان لظهور الغناء والشعر اثر كبير في جمع الناس في مجالس خاصة لسماع الغناء والشعر

الذي كان في اول امره غناء محضا . وهكذا بدأ هذا النوع من النوادي الادبية ينتشر في شكل مجالس للطرب والشعر

وعند ما ظهر القرن السابع للميلاد كانت هناك نهضة شعرية واسعة النطاق في شمال الجزيرة العربية ، وكان لهذه النهضة شعراؤها الكبار ، كما صارت لها مجالس تحكيم عرفت باسم اسواق التجارة التي كانت تقام في مواسمها ومن اشهرها سوق عكاظ الذي كانت تقام فيه الى جانب التجارة ومنافعها المختلفة مجالس اللهو ونوادي الادب ، فيتبارى فيها الشعراء المتسابقون بقصائدهم الحسان . وكان الحكم الذي يحكم بين الشعراء المتسابقين يميز بخيمة كبيرة حمراء اللون ، اما القصيدة الفائزة فقيل انها كانت تكتب وتعلق فوق الكعبة وهو اكبر تشريف لها ولصاحبها نظرا لمكانة الكعبة عند العرب منذ الجاهلية الاولى وتسمى القصيدة لذلك بالمعلقة وتحظى بشهرة كبيرة عند العرب .

« وكانت هذه الاسواق عاملا مهما في حياة الجزيرة قبل الاسلام ، اذ كانت وسيلة هامة للتقريب بين العادات والاتجاهات ، وعنصرا فعالا في تقريب الشعور واحداث

نوع من الاتجاهات العامة . كما قامت بدور في تنشيط حركة التجارة وفي بث الثقافة والاراء ؛ ولها اثر هام في التقريب بين اللهجات وفي تكون لهجة منتقاة موحدة ، تجمع اجمل ما في اللهجات وامتنه ، فاستعملها الشعراء والخطباء واصبحت اللهجة الادبية في الجزيرة فكانت بذلك بداية حركة التوحيد اللغوي والقاعدة الاولى في نشؤ اللغة العربية الفصحى - واذا كانت اللغة وسيلة الثقافة الاولى واساس تكوين الامة وخلاصة ثقافتها وعبقريتها ، ادركنا اهمية نشوء هذه اللهجة الادبية المختارة » (١)

والى هذه الاسواق وآثارها في توحيد لهجات العرب يعزى السبب في سهولة فهمهم للقرآن الكريم حين خاطبهم بلهجة قريش ، وهي احدى لهجاتهم الكثيرة العدد ولا شك في ان لنفوذ مكة التجاري والديني بين القبائل العربية زمن البعثة اثرا مهما في انتشار لهجتها وفي توحيد لغة التعبير الادبي .

اما في المدن فقد تقدمت فكرة النادي واتسع مدلوله

---

(١) مقدمة في تاريخ صدر الاسلام للدكتور عبد العزيز الدوري ص ٤١

ونشاطه، ففي مكة مثلا « كانت دار الندوة نادي قريش العام وكانت للقبائل في المدينة نواد مثلها يدعى واحدها السقيفة وكان يوجد في مكة اناس خاصون بدعوة الناس الى الاجتماع يسمى الواحد منهم المنادي والمؤذن وقد صار عند النبي فيما بعد جماعة من المنادين، اشهرهم بلال، استخدمهم النبي للدعوة الى الاجتماعات وللصلاة خاصة » (١)

اما بعد ظهور الاسلام وتطور حياة العرب باتصالهم الواسع المدى مع الامم والشعوب التي فتحوها فقد دخلت تطورات كبيرة على الحياة الاجتماعية ، بدأت منذ عهد الرسول باتخاذ المسجد واسطة للاجتماع العام ، لا للصلاة فقط ، وانما لكل الامور العامة التي تهم المسلمين . وبعد وفاة الرسول شغل الخلفاء الراشدون بتدعيم السلطة المركزية وتوسيع الفتوح ، فلم يحدث تطور كبير فيما يتصل بالحياة الاجتماعية ، من هذه الناحية على الاخص، غير ان الامر اختلف تماما في العصر الاموي ، فقد حجز معاوية ابناء الذوات من القرشيين والانصار في مكة والمدينة واغدق

(١) النظم الاسلامية للدكتور عبد العزيز الدوري ج ١ ص ١٠

عليهم الاموال بغية صرفهم عن السياسة . وبالفعل حدث نشاط أدبي وعلمي واجتماعي كبير ، خاصة في المدينة التي اصبحت تعج بالبذخ والترف والاموال . وطفق الرجل والنساء من اهلها وخاصة الشباب ، يصرفون اوقات فراغهم - وكل وقتهم كان فراغا - في اللهو والصيد ومجالس الغناء والادب . وهكذا تطورت المجالس واخذت تقترب رويدا رويدا من شكل يشبه النوادي الاجتماعية في العصر الحاضر والملاحظ ان النوادي في هذا العصر لم تكن خاصة بالادب او العلم فقط بل كانت لغيرهما ايضا ، اما خاصة بنوع واحد او جامعة لانواع عديدة ، كالغناء والعاب التسلية المختلفة وكان وادي العقيق بالقرب من المدينة يشبه الى حد كبير « مونت كارلو » او « كابري » في لهوه وعربدته ، وفي طبيعته الجميلة الفاتنة ، وفي كونه ملتقى الطبقة الارستقراطية وحتى في لعب القمار ايضا . (١)

ان اقدم الالعاب عند العرب كان سباق الخيل الذي صار له شان كبير زمن الامويين والعباسيين بل ومنذ العصر

---

(١) انظر عمر بن ابي ربيعة للدكتور جبرائيل جبور ج ١ ص ٢٥ - ٣٠ - ٣١

الجاهلي. وقد كان للجياد العربية والفروسية العربية تأثيرها الواضح في اوروبا عن طريق الاندلس والحروب الصليبية كذلك عرف العرب العابا كثيرة في جاهليتهم منها النرد اما في الاسلام فقد اخذوا كثيرا من العاب الفرس وغيرها كما ابتكروا العابا اخرى وجعلوا لها اماكن خاصة، وكانت بعض هذه الاماكن نوادي منظمة بمثل بعض الانظمة المعروفة في العصر الحاضر، وكانت لها برامج مكتوبة، من ذلك «ان عبد الحكيم الجمحي اتخذ بيتا فيه شطرنجات ونردات وقوقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الجدار اوتادا فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقرأه او بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم» (١)

وهكذا كانت النوادي تضم الى جانب وسائل التسلية غذاء فكريا من الدفاتر والكتب وهو ما تعمله اليوم النوادي الاجتماعية في البلدان الراقية .

ولم تكن المرأة بمعزل عن ذلك كله بل كانت تشارك فيه بسهم وافر . ولئن حفظ التاريخ اسماء الوجيهات من النساء امثال سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة

(١) المرجع السابق ص ٣٤

وعمرة الجمحية ، فانه لم ينس كذلك ان يذكر ان كثيرات غيرهن كن يشاركن الرجل تلك المجالس والمنتديات الكثيرة ، سواء أكانت للعلم والادب ام للهو والتسلية .

ولا يتسع المجال هنا لذكر موقف المرأة العربية من الحياة العامة في صدر الاسلام ، وخاصة دورها البارز في الحياة الاجتماعية، لانني لا اقصد معالجة هذه الجوانب من تاريخ المجتمع العربي وحياته في تلك العصور، وانما اردت ان اقدم صورة موجزة عن الحياة الاجتماعية عند العرب من جانب واحد هو النادي وتطوره عندهم ودوره في حياتهم . ومع ذلك فانه يحسن بالباحث ان يسجل هنا ملاحظة قيمة عن دور المرأة في صدر الاسلام وفي عهد بني امية، حيث لم يكن حجاب المرأة حائلا بينها وبين اداء دورها في الحياة العامة . ولم يبدأ دور المرأة في الانكماش والتقهقر الا في عهد العباسيين ، حين افسد الموالي على العرب حياتهم وقيمهم ، واتلفوا مظاهر النقاوة والعفة التي كانت طابع الاخلاق العربية وصفة الفرد العربي . وفي شيء من هذا المعنى يقول المؤرخ الالماني بروكلمان ما نصه :

« والواقع ان الحجاب لم يحل بين النساء، في الجاهلية وفي الاسلام ايضا حتى عهد الامويين ، وبين الظهور في الناس في كثير من الحرية والتأثير في المجتمع العربي تأثيرا مذكورا في بعض الاحيان. ان مؤسسة «الحريم» التي وضع قواعدها العباسيون على غرار النموذج المسيحي البيزنطي هي وحدها المسؤولة عن انحطاط المرأة في الشرق» (١)

ومما لا شك فيه ان الخلفاء الامويين ثم العباسيين كانت بعض مجالسهم منتديات ادبية واجتماعية، كما كانت لهم مجالس خاصة باللهو والطرب ينفقون عليها من اموال الشعب مبالغ طائلة ولا يحضرها معهم الا من يختارونه بانفسهم من الظرفاء والوزراء والاصدقاء . وتدل الرسوم التي وجدت مؤخرا في بعض قصور الامويين كقصر الحير قرب تدمر وبقايا قصر آخر بفلسطين - وخاصة على جدران حماماتها - تدل على ان الامويين قد عرفوا نوعا من التمثيل المسرحي المشخص وهنا لا ننسى دور القصاصين والخطباء والشعراء الخوارج الذين كانوا يعقدون المجالس والحلقات لبث دعاياتهم والتبشير بآرائهم ومذاهبهم . كذلك كان عامة افراد الشعب

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ٦٣ ترجمة نبيه امين فارس ومنير البلعبكي

يعقدون مثل تلك المجالس والحلقات للسمر ، إما لسماع الاخبار القديمة والاساطير الماضية او لسماع الشعر . وما كتب الف ليلة وليلة وسيرة عنترة وابي زيد الهلالي الا صورة حية لما كان يجري في تلك العصور الماضية بل والى عهد قريب جدا .

وقد ظهر دور النوادي العامة باجلى خطره في العصر العباسي . وبلغت طورا خطيرا جدا عندما نظمت بشكل جمعيات سرية لها فروع وشعب مختلفة ، كانت موجهة ضدالدولة وذات اهداف اجتماعية وسياسيةواقتصادية ايضا (١) وتعتبر اخطر الجمعيات والنوادي السرية تلك التي نظمها الشيعة ، سيما منهم الاسماعليون والحشاشون وغيرهم من الفرق الباطنية التي كانت نواديها ومجالسها السرية هي الوسيلة الوحيدة لتنظيم دعايتها وصفوفها ، واعداد خططها ضد من يحاربها او تريد القضاء عليه . وتعتبر الفتوة ، التي كانت معروفة في الجاهلية ثم انتشرت في العصر العباسي انتشارا واسعا وانقسمت الى نوعين ، عسكرية ومدنية ، تعتبر اقرب نموذج للتنظيمات الكشفية الحديثة ، وهي تشبه

(١) في هذا العصر ظهرت النقابات المهنية وقامت بدور اجتماعي واقتصادي كبير

نظام الجوالة في العصر الحاضر بل تفوقه من حيث التنظيم والمبادىء الاجتماعية والاخلاق العملية .

اما جماعة اخوان الصفا فتعتبر اعظم حركة فكرية ذات نزعة فلسفية ظهرت في عصور التاريخ الاسلامي . فالى جانب كونها حركة سرية لا يعرف احد اسماء اعضائها ، كانت لها عقيدة فلسفية مشتركة ، ورغبة حقيقية في نشر تلك العقيدة . وكان لها رأي في شكل نظام الحكم وفي طبيعته وواجباته . ولعلها الاتجاه الوحيد الذي ظهر في مجرى التفكير الفلسفي الاسلامي ، وكان له رأي واضح ومنظم في الطبقة الحاكمة وفي نظام الحكم . ولا شك في ان رأيها هذا هو من اهم الاسباب التي جعلتها تنظم وتنشر اراءها بصورة سرية ، وذلك لما كان يتصف به كثير من خلفاء عصرها - وكذلك كافة حكام وملوك العصور الوسطى بل وحتى في العصر الحديث - من استبداد وطغيان ومقاومة شديدة للاراء الحرة ، سيما تلك التي تتعرض لاعمالهم الاستبدادية .

واخيرا نذكر ان العرب في العصر العباسي قد عرفوا كثيرا من الالعاب التي نظن اليوم انها من مبتكرات

العصر الحاضر، وهذه مثل الجوكان، وهي كلمة فارسية معناها عصا معقوفة ، وتعرف اليوم باسم لعبة « البولو » وكذلك لعبة التنس التي كانت كورها تصنع من قماش اشتهرت بصنعه مدينة «تِـنِّـيس» بدلتا نهر النيل في مصر .

في العصر الحديث :

اما في العصر الحديث فقد اتخذت النوادي إتجاها اكثر وضوحا وتخصصا واعم نفعا واثرا . كما تميزت بالروح التعاونية والنشاط الاجتماعي الواسع ، واخذت تلعب دورا مهما وضروريا في حياة كل جماعة وامة متحضرة ومن اوروبا انبثقت الاشكال الحديثة للنوادي منذ القرن التاسع عشر . وكان لازدياد السكان وتجمعهم في مدن ضخمة بسبب النهضة الصناعية وتطورها السريع أثر كبير في انتشار النوادي وتنويع نشاطها واتجاهاتها . فكان بعضها خاصا بالرجال وبعضها الآخر خاصا بالنساء ، كما كان لكل طائفة او مهنة نواديها الخاصة بها كنوادي الضباط والفنانين والادباء وغيرهم .

ومن اوروبا انتقلت الاشكال الحديثة للنوادي على اختلاف انواعها ونظمها، فعمت ارجاء العالم، واخذت تزداد

مع الايام تطورا وانتشارا . وقد ساعدها على ذلك انتشار الوعي الاجتماعي والقومي بين كافة الشعوب ، وخاصة بين الطبقات الكادحة .

وهكذا اصبحت النوادي اليوم تؤدي اكبر الخدمات الاجتماعية والوطنية لجميع افراد الشعب، وتزداد ضرورتها كلما كان الشعب محروما من حقوقه الاجتماعية ولا يلقى من حكومته، او من الحكم الاجنبي المسلط عليه، ما يجب له من المؤسسات والخدمات الاجتماعية والعلمية .

والآن ؟

تلك - ايها السادة - نظرة عامة عن النوادي وتطورها عبر العصور وخاصة عند العرب . ومع انني قد اطلت في عرضها وتنويعها فانها لا تعطي الا صورة اجمالية عامة، ونظرة تاريخية مقتضبة .

ومهما يكن من امر، فان ذلك التاريخ كله لا يذكر الا ليحفزنا الى المستقبل، ويسدد خطانا في سيرنا اليه

وها نحن قد اخذنا فعلا باسباب هذا المستقبل . فعندنا اليوم كثير من النوادي الرياضية والادبية والثقافية غير ان النوادي الاجتماعية مازالت معدومة او ضعيفة جدا

لذلك ينبغي ان نوليها عناية كبيرة ، وان نكثر منها في كل مدينة او قرية، حتى نستطيع بواسطتها ان نرتفع بمستوى حياتنا الاجتماعية ارتفاعا يليق بنهضة شعبنا الحديثة، ويساير ركب الحياة والحضارة المعاصرة .

ونلاحظ هنا، ان عندنا امكانيات هائلة تساعد كلها على سرعة الانجاز من جهة، وعلى اتساع النشاط الاجتماعي وتنوعه من جهة اخرى . وتتمثل تلك الامكانيات بوجه خاص في النوادي الدستورية والنقابات العمالية المختلفة وفي الجمعيات والمنظمات التكتلية المهنية . فهذه المؤسسات تملك طاقات كبيرة للانتاج الاجتماعي، وأكثرها يملك نوادي او مراكز لنشاطه الحزبي او النقابي . وهذا من شأنه ان يساعد على النجاح العاجل والانتشار الواسع لاي عمل اجتماعي يبدأ به .

وفي اعتقادي ان تلك المؤسسات تستطيع ان تعطي جانبا من جهودها للميدان الاجتماعي، ولو في دائرة اعضائها والمنتسبين اليها . واول ما يتأكد ان نبدأ به هو مقاومة الامية بين النساء والرجال مقاومة واسعة النطاق ، وكذلك التوجيه الاجتماعي ، لتكوين سلوك اجتماعي نير، وتربية

صحية نافعة ، ووعي اقتصادي رشيد . ثم تتوالى بعد ذلك مراحل النشاط الاجتماعي حتى تصبح النوادي الاجتماعية عندنا ،و كذلك مراكز جميع المنظمات، بمثابة مدارس اجتماعية يتخرج فيها الموظفون بما يليق ان يكون عليه الانسان المتحضر في عصر الذرة والتلفزيون .

ولكي تنجح في تحقيق تلك الغايات ينبغي ان نعمل منذ الخطوات الاولى على ترغيب الناس في تلك النوادي بمختلف الوسائل، بما فيها وسائل التسلية البريئة كالالعاب والموسيقى والرياضة، وكذلك الاحتفالات الفنية والتمثيلية مع ربطها بمشاريع واعمال تعاونية، اقتصاديا واديا واجتماعيا

ولابد هنا من أن يستعين المشرفون على النوادي، او المنتخبون من قبل اعضائها للاضطلاع بمسؤولياتها، لا بد لهم من الاستعانة بدورات تدريبية في التكوين الاجتماعي، ينبغي ان تنظمها الحكومة لهم، او ان تسعى لايجادها المنظمات القومية الكبرى .

ونستطيع ان نقفز الى الامام خطوات كبيرة لو ان الحكومة تستقدم خبراء في النشاط الاجتماعي ، وترسل بعثات من الطلاب والطالبات الذين انهوا تعليمهم الثانوي

او من المعلمين والمعلمات ، ليتخصصوا في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، وبذلك نكون قد وضعنا حياتنا الاجتماعية الجديدة، على اساس وطيد من العلم والخبرة وكل ماتوصلت له الحضارة الحديثة من جهود في هذا السبيل .

ومن اجل ذلك اذكر لكم الآن انطباعاتي العامة عن النوادي والجمعيات في العراق، عسى ان نجد في بعضها ما يساعد على تحقيق ما نرجوه لبلادنا من تقدم وازدهار في الحياة الاجتماعية .

في العراق

ان اول ميزة في العراق للحياة والنوادي الاجتماعية هي مشاركة المرأة مشاركة واسعة فيها ، إما بالاشتراك مع الرجل وإما في وسط نسائي صرف .

نادي البعث العربي:

فمن النوع الاول يوجد في بغداد نادي البعث العربي ، الذي جاء في قانونه الاساسي ان اهدافه هي : «بث الفكرة القومية والشعور القومي الصادق ، وتشجيع البحث العلمي للقضايا العربية العامة ، والتأليف بين جهود المفكرين والعاملين في خدمة الوطن العربي ، لرفع المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي » . وجاء في القانون ايضا ان النادي « يسعى

لتحقيق اهدافه بكافة وسائل النشر والاذاعة ، والخدمات الاجتماعية كاصدار المجلات والنشرات والكتب ، وتنظيم المحاضرات (١) والمناظرات والحفلات ، والقيام بالرحلات ، وانشاء المدارس والمؤسسات الصحية وغيرها » ..

ولهذا النادي مكتبة وقاعة صغيرة للمحاضرات ، وله مجلة ثقافية تحمل اسمه وتصدر مرتين في الشهر . وابرز اعماله حفلات التعارف (٢) التي يقيمها للشباب اناثا وذكورا على السواء . واعضاؤه مكونون من رجال الفكر والقانون في العراق ، اذ فيهم الطالب والمدرس والقاضي والمحامي والموظف ، وتشارك المرأة في حفلاته واعماله مشاركة ملحوظة .

وهذا النادي اجتماعي صرف ، وان حاول ان يعطي لنفسه صبغة سياسية ، وان يدلي برأيه في المشاكل القومية باصدار بعض البيانات في القضايا العربية .

ومن الملاحظ هنا ان النادي لم يتخذ الصفة الحزبية طابعا لاعماله او اقواله ، كما لم يقم باي نشاط او تشكيل حزبي . وهكذا ظل مؤسسة اجتماعية وثقافية من نوع

---

(١) القى المؤلف فى هذا النادي محاضرتين : الاولى يوم ١٠ - ٥ - ١٩٥١ وعنوانها «ماي شهر الدماء والدموع في المغرب العربي » والثانية يوم ٣١ - ١ - ٥٢ وعنوانها تونس في كفاحها »

(٢) انظر كتاب « حصاد القلم » للمؤلف ص ٧٤

خاص ، لا تتميز عن مثيلاتـها الا بتقارب الميول القوميـة – غير الحزبية – بين اعضائها .

وهناك مآخذ سجلت في حياة هذا النادي منذ اللحظة الاولى التي اعلن فيها عن تكوينه وعن اسمه واتجاهاته ونظامه . فقد اصـدر حزب البعث العربـي بدمشق بيانا عقب تأسيس النادي مباشرة،اعلن فيه عدموجود اية علاقة او صلة سياسية او حزبية بينه وبين النادي ، كما لاحظ بان اتخاذ اسم الحزب اسما للنادي لم يكـن عملا صحيحا ولا مناسبا . وقد استاءت هيئة النادي من هذا البيـان نظرا لما كان يطمح اليه بعض اعضائها من نتائج شخصية في المستقبل

والواقع ان حزب البعث العربي كان على حق كامل في بيانه، فقد كانت الهيئة الادارية للنادي مكونة من اشخاص ذوي مراكز او مناصب كبيرة في الدولة ، ولم تكن لهم اية علاقة حزبية مع حزب البعث العربي، كما كان بعضهم لا يفهم من السياسة والمبادىء القومية والتنظيمات الحزبية، اكثر من انها احاديث هادئة تجري في صالونات فخمة مريحة . ولم يرفض بعض هؤلاء الاعضاء – حين سنحت الفرصة – ان يتولوا مناصب وزارية في حكومة السيد نوري السعيد !

اما حزب البعث العربي، فقد اثبتت الحوادث والايام انه كان على حق في احترازاته وملاحظاته التي اعلنها في بيانه المذكور .

حزب البعث العربي:

وحزب البعث العربي حركة سياسية عربيةاشتراكية هدفها : تحرير الامة العربية وجمعها في دولة واحدة ، واقامة نظام اشتراكي تام . وقد جاء في دستور الحزب ان المبدأ الاول من مبادئه الاساسية هو :

« العرب امة واحدة لها حقها الطبيعي في ان تحيا في دولة واحدة وان تكون حرة في توجيه مقدراتها .

ولهذا فان حزب البعث العربي يعتبر :

١) الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ ولا يمكن اي قطر من الاقطار العربية ان يستكمل شروط حياته منعزلا عن الآخر .

٢) الامة العربية وحدة ثقافية ، وجميع الفوارق القائمة بين ابنائها عرضية زائفة ، تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي .

٣) الوطن العربي للعرب ، ولهم وحدهم حق التصرف بشؤونه وثرواته وتوجيه مقدراته »

وجاء في دستوره ايضا ضمن المباديء العامة للحزب ما يأتي :

« والفكرة القومية التي يدعو اليها الحزب هي ارادة الشعب العربي ان يتحرر ويتوحد ، وان تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ ، وان يتعاون مع سائر الامم على كل ما يضمن للانسانية سيرها القويم الى الخير والرفاهية .

« حزب البعث العربي اشتراكي ، يؤمن بان الاشتراكية ضرورة منبعثة من صميم القومية العربية ؛ لانها النظام الامثل الذي يسمح للشعب العربي بتحقيق امكنياته وتفتح عبقريته على اكمل وجه، فيضمن للامة نموا مطردا في انتاجها المعنوي والمادي وتآخيا وثيقا بين افرادها .

« حزب البعث العربي شعبي ، يؤمن بان السيادة هي ملك الشعب ، وانه وحده مصدر كل سلطة وقيادة ، وان قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن ارادة الجماهير ، كما ان قدسيتها متوقفة علي مدى حريتهم في اختيارها . لذلك

يعتمد الحزب في اداء رسالته على الشعب ، ويسعى للاتصال به اتصالا وثيقا ، ويعمل على رفع مستواه العقلي والاخلاقي والاقتصادي والصحي، لكي يستطيع الشعور بشخصيته وممارسة حقوقه في الحياة الفردية والقومية .

« حزب البعث العربي انقلابي ، يؤمن بان اهدافه الرئيسية بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية ، لا يمكن ان تتم الا عن طريق الانقلاب والنضال ، وان الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالاصلاح الجزئي السطحي يهددان هذه الاهداف بالفشل والضياع . لذلك فهو يقرر .

١) النضال ضد الاستعمار الاجنبي لتحرير الوطن العربي تحريرا مطلقا كاملا .

٢) النضال لجمع شمل العرب كلهم في دولة مستقلة واحدة .

٣) الانقلاب على الواقع الفاسد انقلابا يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية »

ويزداد حزب البعث العربي كل يوم قوة وانتشارا بين الجماهير الشعبية ، خاصة بين العمال والفلاحين والطلبة وله فروع منظمة في كثير من الاقطار العربية ، اقواها

فروع الاردن والعراق ولبنان . وقد تغلغلت فكرته ومبادؤه القومية التقدمية الاشتراكية ، حتى بين عمال جنوب الجزيرة العربية. اما في سوريا نفسها، حيث يوجد مركز الحزب في الوقت الحاضر ، فان له في مجلس النواب الحالي سبعة عشر نائبا، كما اصبحت آراؤه ومكانته في سياسة سوريا العربية والداخلية ذات شأن وخطورة . وقد استطاع ان يدخل كثيرا من مبادئه وآرائه في صميم مواد الدستور السوري الحالي (١) وذلك بواسطة نائب واحد فقط مثّله في لجنة الدستور الذي وضع اثر الانقلاب العسكري الثاني الذي قام به الزعيم سامي الحناوي سنة ١٩٤٩

جمعية تحرير المرأة:

تأسست هذه الجمعية سنة ١٩٥٢ ، وهي جمعية تسعى الى رفع مستوى المرأة في العراق اجتماعيا واقتصاديا وصحيا وتدافع عن حقوقها كافة ، وقد جاء في منهاج الجمعية ان اهدافها تتلخص فيما يأتي :

١) الدفاع عن حقوق المرأة من الوجهة الاجتماعية وتحريرها من القيود التي ترزح تحتها الآن .

---

(١) انظر مقدمة هذا الدستور المعلن في ٥ ـ ٧ ـ ١٩٥٠ وكذلك المواد ٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٨ ـ ٧٥

(٢) الدفاع عن حقوق المرأة الاقتصادية لاشتراكها العقلي في مختلف نواحي الحياة العملية ولتحريرها الاقتصادي

٣) توفير العناية الصحية بها والسعي لانشاء دور الامومة والطفولة بنطاق واسع ، وانشاء المؤسسات الصحية في الارياف لتستفيد منها الفلاحات .

٤) العمل لرفع مستوى المرأة الفكري والثقافي بفتح مدارس لمكافحة الامية ، باقامة حفلات وتمثيلات عامة وباصدار مجلة ونشرات وكراريس تثقيفية وسائر الوسائل المشروعة .

٥) الدعوة الى حل مشاكل الزواج حلا صحيحا والعمل لاصدار قانون يحرم تحريما باتا بيع وشراء المرأة وحل مشكلة البغاء .

تتعاون هذه الجمعية مع المنظمات والعناصر الوطنيةومع المنظمات النسائية في العراق وفي الاقطار العربية وفي العالم ، خصوصا في قضايا الدفاع عن حقوق المرأة العراقية » .

جمعية الام والطفل :

من أعظم الجمعيات في العراق جمعية الام والطفل ، وهي جمعية صحية اجتماعية ، للاسعاف الاجتماعي والطبي . ومن اهم اعمالها

رعاية النساء الحوامل والامهات الحديثات الولادة والاطفال الرضع . اذ تقدم لهن من الاسعافات والمساعدات الطبية والارشادت الصحية والعلاج المجاني ، ما ينقذ سنويا آلاف الامهات والاطفال من الموت ومن التدهور الصحي . ولهذه الجمعية فروع كثيرة في جميع المدن العراقية الكبرى وكذلك في الاحياء الكبرى من مدينة بغداد ، وتمتاز هي وفروعها بانتظام اعمالها وكثرة نشاطها وبأثرها الواضح في الحياة الاجتماعية . وتمتلك هذه الجمعية بناية حديثة ضخمة وعددا من المباني والمستوصفات، ولها مجلة شهرية باسم « الام والطفل » تعد من ارقى المجلات النسائية في العالم العربي . ويبلغ عدد الذين يستفيدون من خدماتها المجانية صحيا واجتماعيا اكثر من عشرين الف بين امهات واطفال في كل شهر .

كذلك تعنى جمعية الام والطفل - كما تعنى جمعيات اخرى مختلفة - بالاطفال اليتامى والاحداث المضيعين بفتح الملاجىء الخيرية التي ترعى عددا كبيرا منهم ، واقامة ما يسمونه « مشغل » وهو عبارة عن مدرسة داخلية

تحتضن البنات المشردات وتتولى تعليمهن صناعة يدوية مع مبادىء التعليم الضرورية .

جمعيـة النداء الاجتماعـي :

اما جمعية النداء الاجتماعي فقد أسسها جماعة من رجال التربية وعلم النفس ، لغرض ايجاد تربية اجتماعية حديثة وسلوك اجتماعي مهذب في مختلف الاوساط العراقية. ومن اعمالها القاء محاضرات توجيهية فيما يهم المجتمع ويشغل الرأي العام من المشاكل الاجتماعية ، كما تقيم حفلات اجتماعية وسط الحدائق تحتـوي على وسائل التسلية والالعاب للاطفال وعلى توجيه اجتماعي للنساء والرجال

الهلال الاحمر :

وهو جمعية خاصة بالاسعاف الطبي كنقل المصابين في حوادث الطرقات او الحرائق او المرضى في حالة الخطر الى المستشفيات ، فهي تقوم بكل ما تقوم به جمعيات الصليب الاحمر في العالم الغربي.غير ان جمعية الهلال الاحمر العراقية تبذل مع ذلك نشاطا اجتماعيا آخر ، إما باقامة حفلات يعود ريعها على اعمال الجمعية ، او باعانة العائلات الفقيرة بالثياب والاطعمة والمواد الطبية .

ولهذه الجمعية فرع نسائي يقوم ببعض الاعمال الخيرية ولكن نشاطه محدود جدا .

ولعل وزارة الصحة عندنا تقوم عاجلا بانشاء مؤسسة تونسية للهلال الاحمر ، فتحي بذلك ماضيا انسانيا نبيلا ، كان قائما منذ اربعين عاما مضت (١) ثم طواه الاستعمار بعدوانه وحرمنا من منافعه الكثيرة ، وتبعث به رمزا اجتماعيا من رموز شخصية الشعب التونسي وسيادته على ارضه ، وترفع عنا وصمة التخلف والتقصير في هذا الميدان ، وتبرهن كذلك عن رشدنا الاجتماعي والسياسي في وقت واحد .

فمن الناحية الاجتماعية نلاحظ المعاملة المجحفة التي يلقاها ابناء هذا الشعب من جمعيات الاسعاف الصليبية ، سيما في مراكز رعاية الطفولة والمستوصفات الطبية .

اما من الناحية السياسية او القومية ، فان من غير المعقول ان يكون هذا القطر عربيا مسلما وتكون له وزارة صحة كاملة التجهيز والامكانيات ، يتولى مسؤولياتها وزير

---

(١) تكونت اول جمعية تونسية للهلال الاحمر سنة ١٩١١ لمساعدة المجاهدين العرب في ليبيا ضد الاحتلال الايطالى . ثم اعيد تكوينها خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد قامت باعمال جليلة في المرحلتين . ولكن الاستعمار قضى عليها مرتين . فهل نعيدها للحياة مرة اخرى ؟

تونسي مسلم ، ثم تتولى امر الاسعاف في القطر كله جمعيات الصليب الاحمر وحدها ، دون ان يكون الى جانبها ، على الاقل ، جمعيات اخرى مماثلة ، تحمل شعار الهلال الاحمر الذي هو رمز عقيدة الشعب من جهة ، ومن جهة اخرى هو قلب العلم التونسي : رمز السيادة والمجد لشعب تونس العربية المسلمة . !

الاتحاد النسائي :

تكون الاتحاد النسائي العراقي من عدة جمعيات نسائية نتيجة لمقررات المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٤٥ «وقد كان تأسيسه مبنيا على اشتراك ثلاث عضوات من كل جمعية تنتدبهن الهيئة الادارية لتمثيل تلك الجمعية في الاتحاد النسائي ، ثم تنتخب من كل هؤلاء الهيئة الادارية للاتحاد » (١)

وعلى الرغم من كون الاتحاد يضم كثيرا من نساء الطبقة الارستقراطية ، التي انما انتسبت اليه بدافع حب الشهرة فقط ، فانه يقوم فعلا باعمال لا بأس بها ، كتنظيم محاضرات في حقوق المرأة ومركزها الاجتماعي ، (٢) واقامة الاسواق

(١) المرأة العراقية ص ٥٠

(٢) منها المحاضرة التي القتها الشاعرة العراقية نازك الملائكة •

الخيرية ، والعناية بالاطفال المشردين واصلاحيات الاحداث. وله ناد كبير تحيط به حديقة واسعة . كما يقدم هذا الاتحاد ارشاداته ومساعداته لعدد من الطالبات والفتيات ، ويتولى اصدار مجلة تنطق بلسانه وتحمل اسمه .

وقد تحدثت الدكتورة نزيهة جودت الدليمي في كتابها « المرأة العراقية » عن الاتحاد النسائي في العراق فانتقدت اقتصاره على نوع واحد من النشاط الاجتماعي ، وناقشت اتجاهاته في المطالبة بالحقوق السياسية للمرأة العراقية وذكرت بان الهدف الاساسي للاتحاد انما هو :

« توجيه الجمعيات النسائية في العراق . ولكنه لم يقم بمهة التوجيه التي اوجد من أجلها ، ولم يقم باعمال تختلف عن اعمال الجمعيات الخيرية . وقد اثار اخيرا قضية اعطاء حقوق المرأة السياسية على اساس وجود معسكرين : الرجل والمرأة ، ويجب ان تعطى الحقوق السياسية للمرأة المثقفة فقط ، والتي ثقافتها فوق الابتدائية !!...

والحقيقة ان هذا الاساس غير صحيح ، اذ يجب ان تتمتع المرأة العراقية بحق الانتخاب بصرف النظر عن درجة ثقافتها » (١)

---

(١) ص ٥٠

جمعية بيوت الامة :

تعنى هذه الجمعية بالاسرة والبيت ، وهي تحاول ان تسدي الى العائلات توجيهاتها ونصائحها النافعة ، ولكنها لا تقتصر عليها بل تقوم بايواء الاطفال وتأسيس المياتم (الملاجىء) لهم . ولهذه الجمعية فرع نسائي ، يقوم على كاهله نشاط لابأس به في تلك الميادين نفسها .

جمعية البيت العربي :

تأسست هذه الجمعية سنة ١٩٤٨ بعد حوادث فلسطين وضياعها من اهلها ، وخروجهم منها مشردين لاجئين . واهداف الجمعية هي ايواء اللاجئين العرب وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لهم .

العيادة الشعبية :

وهذا مشروع هائل قام به طبيب عراقي هو الدكتور اسماعيل ناجي ، ثم ساهم فيه عدد من الاطباء المختصين ، وهو يرمي الى تيسير مداواة الطبقة الفقيرة كالعمال والفلاحين ، وغيرهم من اصحاب الموارد الضئيلة باجور زهيدة ، ونشر الخدمة الصحية بين هذه الطبقة ، كما يشمل ايضا الموظفين الصغار والمعلمين وغيرهم من ذوي الدخل المحدود .

وطريقة المشروع هي: ان يشترك كل فرد من الطبقة الفقيرة بمبلغ مائة وخمسين فلسا اي بمائة وخمسين فرنكا، وهذا المبلغ يعتبر رسم اشتراك عن الشخص وكافة افراد عائلته ، ومقابل ذلك يتمتع المشترك هو وعائلته بمجانية جميع الاستشارات والفحوص الطبية، كلما احتاج الى ذلك ، ويتمتع المشترك او اي فرد من عائلته بحق الكشف الباطني على يد طبيب مختص ، وكذلك باجراء التحاليل المرَضية البسيطة وعملية الحقن (اي ضرب الابر) مجانا (١)

وقد لاقى هذا المشروع نجاحا كبيرا ، وافاد حقيقة في معالجة العائلات ذات الدخل الضئيل او المحدود .

وكم أتمنى ان ينهض مثل هذا المشروع في بلادنا اذ أنه بمثابة مشروع تعاضدي للاسعاف ، فهو من الناحية الاقتصادية لا يضايق العائلة الفقيرة ، كما ان الطبيب نفسه او الاطباء الذين يشرفون عليه ، لا تصيبهم خسارة مادية ، بل بالعكس قد ينالون ارباحا لابأس بها . فهل يا ترى ينهض

---

(١) نظام العيادة ص ٣ ـ ٤

بعض اطبائنا بمثله عندنا ؟ انني ادعوهم الى ذلك ، كما ان في الامكان تحقيق المشروع بصور كثيرة اخرى . وعندي النظام الاساسي للعيادة الشعبية ، واني مستعد لان اعطيه لكل من يرغب في تحقيقه ، على انه يمكن ان تنهض به جمعية من الجمعيات الاجتماعية او الثقافية كقدماء الصادقية مثلا (١)

انشاء المستشفيات :

من المشاريع الاجتماعية العظيمة في العراق : جمعية إنشاء المستشفيات التي تنحصر اهدافها في بناء مستشفيات حديثة تامة التجهيز ، ثم تسلمها الى وزارة الصحة العراقية فتتولى هذه شؤونها الطبية والادارية وتتحمل جميع نفقاتها .

وقد كان اول عمل لهذه الجمعية انشاء مستشفى للامراض الصدرية يتسع لايواء اكثر من خمسمائة مريض . وقد اقيمت مباني المستشفى الفخمة في موقع صحي جميل ، تحيط به الحدائق الفيحاء ، وينساب حواليه نهرا دجلة وديالى اللذان يلتقيان امامه مباشرة .

---

(١) يختلف هذا المشروع عما عندنا من تعاضديات المعلمين للاسعاف ، وعن مستوصفات العمال وغيرها

ويعد هذا المستشفى الاول من نوعه ، لا في العراق فقط بل وفي الشرق الاوسط كله ، نظرا لما فيه من تجهيزات فنية حديثة ، ونظام صحي ممتاز ، وادارة رشيدة حازمة . وعندما تركت بغداد سنة ١٩٥٢ كانت الجمعية تبحث عن الاماكن الصالحة لبناء مستشفى ثان للامراض الصدرية قرب مدينة البصرة ، وبناء ثالث بالشمال قرب مدينة الموصل . واحسب ان الجمعية قد اتمت الآن عملها ، إن لم تكن قد انجزت اعمالا اخرى بعده ؛ وذلك لما يتصف به اعضاؤها من حزم واخلاص ومثابرة . وهي الجمعية الوحيدة التي يكاد الشعب في العراق لا يعرف عن اعضائها شيئا ، لانهم يعملون بلا ثرثرة ودون ضجيج حول أشخاصهم .

ولا يفهم من وجود هذه الجمعية ان البلاد خالية من المستشفيات اذ ان الجمعية لا تقوم بعملها الا لزيادة تحسين الحالة الصحية ، نظرا الى ان جهود الحكومة وحدها لا تكفي لسد حاجة شعب مازال في بداية نهضته .

النوادي الخاصة :

واعود الآن الى النوادي ، فاذكر ان بالعراق تكثر

النوادي الاجتماعية بكافة المدن ، وان منها الخاص والعام. فالعام كالذي سبق التحدث عنه ، اما الخاص فيشمل نوادي الضباط والشرطة والسكك الحديدية والمحامين ، سواء في بغداد او في كل مدينة متوسطة وكبيرة ، مثل الموصل والبصرة وكركوك . وكل هذه النوادي تمتلك بنايات خاصة يقع اكثرها على نهري دجلة والفرات . ويتمتع بعضها بشهرة كبيرة ومركز مرموق ، كنادي المحامين في بغداد الذي يمتلك بناية كبيرة فخمة تحيط بها حديقة واسعة ، ويحتوي على قاعة واسعة للمحاضرات والحفلات ومكتبة قانونية ، وقاعات للتسلية والجلوس .

كذلك توجد نواد اخرى خاصة بالموظفين او المعلمين ، غير ان نوادي المحامين في بغداد وفي بقية المدن هي اعلى مستوى واحسن امكانيات . ولكل ناد برامجه واعماله الخاصة باعضائه .

نشاط الطلاب :

يقي ان اتحدث عن نشاط الطلاب فاقول : ان

نشاط الطلاب في العراق يختلف عما نعرفه هنا من حيث الشكل والاسلوب . فليس للطلبة جمعيات خاصة خارج المدارس والكليات ، ولهذا لا يكون نشاطهم الاجتماعي الا ضمن جمعيات تتكون داخل المدارس . وتقوم هذه الجمعيات على الهواية والتخصص ، فواحدة للنشاط الاجتماعي كالرحلات والحفلات الاجتماعية والمسابقات وغيرها ، واخرى للرياضة ، وثالثة للخطابة ، ورابعة للتمثيل ، وخامسة للرسم والنحت . وقد تتكون جمعيات اخرى لفنون وهوايات متعددة . وتتعاون كافة الجمعيات داخل كل مدرسة على انجاز اعمالها وحفلاتها ومعارضها الفنية . وفي المدارس الثانوية تتألف لجان من الطلبة لاصدار صحف مدرسية تكتب باليد وتعلق في اماكن خاصة داخل المدرسة .

اما الكليات فتمتاز بحفلات التعارف التي تقام كل سنة لتعريف الاساتذة والطلاب القدماء بالطلاب الجدد ، وهي من احسن الحفلات واكثرها نفعا اجتماعيا . وفي الكليات تشارك الطالبات الطلاب في كافة اللجان والجمعيات والاعمال المختلفة ، بما في ذلك الرياضة عدا كرة القدم

النهاية:

والى هنا ينتهي ما في ذاكرتي ومراجعي من الانطباعات والمعلومات عن النوادي والجمعيات في العراق .

ورغم ما في بعضها من تفصيل واطالة ، فانها لا تعطي الا صورة عامة مصغرة عن حقائق الموضوع في وادي الرافدين .

واحب ان الاحظ للمرة الاخيرة ، بان ما قدمته لا يعني ان العراق قد صار قدوة في هذا الميدان ، او ان حياته الاجتماعية قد وصلت الى الغاية المثلى التي تحتذى من قبل الآخرين . وانما اردت ان تنتفع بما ليس عندنا من تلك المشاريع ، فقد يرى بعضنا انها ضرورية لمجتمعنا او مفيدة له .

واني لاهيب بكل من يرى ذلك او لديه افكار عن مشاريع اخرى تفيد شعبنا في اي ميدان ، ان ينشرها للراي العام ، واحسن من ذلك ان يحققها عمليا في الحياة . !

مراجع المحاضرة

١ – ادباء العرب: بطرس البستاني – بيروت ١٩٤٨

٢ – تاريخ الشعوب الاسلامية : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور نبيه امين فارس ومنير البعلبكي – بيروت ١٩٥٣

٣ – عمر بن ابي ربيعة : الدكتور جبرائيل جبور – بيروت ١٩٣٥

٤ – تاريخ الاسلام السياسي : الدكتور حسن ابراهيم حسن – القاهرة ١٩٤٨

٥ – مقدمة في تاريخ صدر الاسلام : الدكتور عبد العزيز الدوري – بغداد ١٩٤٩

٦ – النظم الاسلامية : الدكتور عبد العزيز الدوري – بغداد ١٩٥٠

٧ – الموسوعة البريطانية : مادة (Club)

٨ – المرأة العراقية : للدكتورة نزيهة جودت الدليمي – بغداد ١٩٥٢

٩ – في الادب والنقد : الدكتور محمد مندور – القاهرة ١٩٤٩

١٠ – العرب (تاريخ موجز) : الدكتور فليب حتى – بيروت ١٩٤٦

١١ – الفتوة والصعلكة في الاسلام : الدكتور احمد أمين ، سلسلة « إقرأ » عدد ١١١

إمكانياتنا الاجتماعية

« ان خير وسيلة للكشف عن ضمير
« حكومة ، هي ان تدرس سياستها
« الضرائبية ووسائل صرف حصيلة
« هذه الضرائب ٠

فرانكلين روزفلت

(القيت هذه المحاضرة في بنزرت يوم ٢٥ - ٢ - ٥٥
تحت اشراف اتحـاد الطلبة الجهـوي وبدعوة منه)

كلمة شكر

أيها الشباب المتوثب

أيها العمال الشرفاء

ايها المواطنون جميعا

اود ان اوجه قبل كل شيء عبارات الشكر والاعجاب لاتحاد الطلبة الجهوي ببنزرت ، لما اتاحه لي بهذه المناسبة، من فرصة الالتقاء بكم ، والتحدث اليكم ، والحوار معكم كما اشكر هيئته النشيطة على حيويتها ، ووعيها النير ، حيث انها اقترحت بحث موضوع اجتماعي ، مهما كان نوعه وكانت المشكلات التي يتعرض لها ، وبذلك برهنت عن وعي رشيد ، وتفكير انشائي . كما بعدت عن الموضوعات الادبية التي شبعنا منها عقلا ، ولم نر لها اثرا يذكر في الحياة ، خاصة تلك التي تعيش بارائها وافكارها وحتى بتعبيراتها بين العصور السحيقة ، والالفاظ الميتة . كما انني اشكر كافة الحاضرين ، واحيّ فيهم هذا النشاط البارز ، والاهتمام المتجلي ، آملا ان اكون عند حسن ظنهم بي ، متمنيا ان يتاح لي اللقاء بهم عدة مرات قادمة ، وفي جو اكثر هناء ، واسعد حياة ، واوفر اطمئنانا .

تمهيد

أيها المواطنون !

مما لا شك فيه ، ان شعبنا اليوم في طليعة الشعوب المكافحة ، وانه قد برهن عن رشد وطني ، ونضج سياسي لا نكاد نجد لهما مثيلا في كثير من الشعوب التي نالت استقلالها ، واحرزت على حريتها . ومع ذلك فان شعبنا مازال يعاني سياسة الكبت والحرمان ، سياسة الاضطهاد والظلم ، سياسة الافقار والتجهيل ، وبعبارة اخرى مازال شعبنا يعاني جميع المصائب التي يقترن بها حكم الاستعمار : من ظلم اجتماعي واقتصادي وسياسي ، وما يرافق ذلك من انواع الاستغلال والاستعباد ، حتى لم يعد المواطن يأمن على ماله او حياته او كرامته . ففي كل لحظة يدفع

الضرائب ، وفي كل لحظة يمكن ان يزج به في السجون والمعتقلات بسبب او بدون سبب ، وفي كل لحظة هو مهدد باجراءات بوليسية ، ومحكوم بسلطة غير مسؤولة . وكان ان بدأ ضمير شعبنا يستيقظ ، وبدأ احساسه بالظلم يتبلور وانطلقت منه طليعة من الشباب الذين احسوا بواقع شعبهم الاليم ، وادركوا واجباتهم نحوه ، فتقدموا لتنظيم صفوفه ونشر الوعي فيه ، وتربيته وطنيا وسياسيا .

وطبيعي ان يكون الاستعمار بالمرصاد لهذه الطليعة الرائدة ، فنالها الاضطهاد والعذاب ، والسجون والمنافي والاعتقال ، والموت احيانا . ولكنها صمدت وكافحت واعطت بذلك اروع الامثال في البطولة والبسالة ، وفي التضحية ونكران الذات . واستطاعت ان تواصل كفاحها وسط الاهوال والشدائد ، وفي ظروف الخطر والرعب ، ومازالت تقود سفينة هذا الشعب نحو شاطيء السلامة ، شاطىء الحرية والاستقلال . ولم تزدها المحن التي مرت بها وبالشعب ، الا ثباتا وبسالة واخلاصا وتضحية ، ومقدرة في العمل وبراعة في القيادة ، مما سلب اعجاب العالم باسره ؛ وجعل اكبر الخصوم والاعداء ، يعترف بذلك كله .

واصبح شعبنا واعيا لحقوقه السياسية والاجتماعية ، صامدا كالجبال في كفاحه من اجلها ، عاقدا العزم على نيلها ، واخذها بجدارة واستحقاق ، وبكفاح وتضحية .

تكتل الشعب :

وهكذا نرى ان شعبنا قد تكتل بجميع وحداته الاجتماعية في كفاح جبار ، متجها صوب غايته السامية وهدفه القومي : اي نحو الاستقلال . وهو اليوم واثق كل الوثوق من الانتصار والفوز بكامل امانيه الوطنية ، وواضع ثقته التامة في زعمائه وقادته ، ليقودوا سفينته نحو غايتها ويبنوا مستقبله العظيم المنتظر .

خمس ملاحظات :

وفي هذا الموقف الراهن نسجل ونستخلص الحقائق العظيمة التالية :

١ – وحدة الشعب الكاملة وتصميمه التام على تحقيق اهدافه الوطنية كاملة ، واستعداده الدائم للتضحية في سبيل تلك الاهداف .

٢ – تكتل افراد الشعب وانتظامهم على اختلاف وحداتهم الاجتماعية في منظمات قومية شاملة .

٣ — اخلاص زعمائه وبراعتهم في قيادة الشعب وعزمهم الراسخ على الكفاح حتى النصر النهائي .

٤ — إيماننا جميعا بان اهدافنا ستتحقق ، وان النصر سيكون بجانبنا ، بفضل صمودنا وكفاحنا ووحدتنا .

٥ — تفاؤلنا وتعلقنا دائما بالمستقبل ، ورغبتنا في بنائه على دعائم قوية ، من الحرية والرخاء والتقدم الشامل المستمر

هذه ايها المواطنون هي الملاحظات الخمس التي التي سجلتها بعد رجوعي للوطن ، فاثارت اعجابي التام واعتبرتها ظاهرة اجتماعية هائلة ، ليست فقط مما يبهج النفس ويفرحها ولكن لانها ، على الاخص ، يمكن - بعد ان يتم بناء استقلالنا السياسي بل واثناءه - يمكن ان تكون قاعدة وطيدة كبرى لبناء مستقبلنا الاجتماعي والاقتصادي بناء سليما وشاملا لكل فرد من افراد شعبنا ولكل ركن وناحية من نواحي حياتنا .

وعي منظماتنا :

ويسرني هنا ان اعلن حقيقة اخرى ابتهجتني ايضا وهي ان منظماتنا القومية قد ادركت تلك الحقائق والملاحظات ادراكا تاما ، وهي تستعد احسن الاستعداد

لتوجيه الشعب وقيادته في المستقبل القريب بمشاريع يقع
الآن اعدادها بعناية فائقة وانتباه كبير ، في ضوء تلك
الحقائق التي هي في الواقع تضع امام القادة والمنظمات
وكل العاملين المخلصين من ابناء الشعب ، تضع امكانيات
النجاح والازدهار الى ابعد الحدود . وفي هذه النقطة بالذات
احب ان اتحدث الى حضراتكم ، واحب ان اشير الى
عوامل النجاح وبعض اساليب العمل وميادينه بصورة اجمالية
اما التفاصيل فهي توضع من قبل العاملين المباشرين للميادين
نفسها . كما أريد ان الفت الانظار بوجه خاص الى بعض
النقاط والملاحظات التي قد لا تلفت اليوم انتباه الكثيرين
منا او لا يقدر بعضنا خطورتها على مستقبلنا تقديرا صحيحا

طاقـاتنا الاجتمـاعية

ان اول شيء يذكر هنا هو طاقاتنا الاجتماعية المجندة للعمل في الوقت الحاضر ، ووحداتها المنظمة تنظيما جيدا وواجبات كل وحدة اجتماعية ، والخدمات التي يمكن ان تحققها للشعب في اوقات يسيرة نسبيا .

الكفاح السياسي:

اما عن الطاقات الاجتماعية فهي واضحة كل الوضوح في وحداتنا الاجتماعية المنظمة (١) ، وهي الى ذلك طاقات ايجابية وفعالة ، غير انها محدودة النشاط من حيث النوع ومزدحمة به من حيث الكمية ، والسبب في ذلك يعود

---

(١) اعنى بالوحدة الاجتماعية كل مؤسسة اجتماعية موحدة في اهدافها وصفات اعضائها ، كالجمعيات والتعاونيات ، وخاصة النقابات

الى واقعنا السياسي الذي يتحكم فيه الاستعمار، والذي اجبرنا جميعا بكل طاقاتنا ووحداتنا على ان نتجند لكفاحه ونحصر جهودنا كلها تقريبا في هذا الكفاح . ولعل هذه النقطة تبدو غامضة او غير واضحة وضوحا تاما ، لذلك ازيدها بيانا بقولي :

كلنا يعلم ان شعبنا بكل هيئاته ومنظماته وبجميع افراده يتجه الآن ومنذ عشرات السنين الى الكفاح السياسي فقط ؛ او على الاصح يعطي الكفاح السياسي الدرجة الاولى . وبذلك شغلنا الكفاح السياسي بمراحله المختلفة وما تخلله من اضطهاد دائم ومحن متتابعة ، شغلنا الى حد كبير عن العمل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بصورة واسعة شاملة . والاستعمار هو المسؤول الاول عن ذلك ، لانه وضع في طريقنا العقبات والعراقيل التي تمنع نهوضنا الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ، وفضلا عن ذلك فقد تجاوز الامر حياة الانسان اليومية الى تهديده على الدوام في حريته وكرامته البشرية ، فاصبح الشعب فاقدا لابسط الحريات والحقوق التي تمارسها شعوب اخرى ليست احسن منه حالا ولا اكثر منه حضارة وتقدما .

وفي اوضاع بائسة منكودة كهذه ، لا يأمن المواطن فيها على حياته وكرامته وعرضه احيانا ، يتأكد قبل كل شيء كفاح النظام الاستعماري حتى يزول فتزول معه دفعة واحدة جميع مظالمه وكافة المصائب التي عرفت في عهده واقترن بها حكمه البغيض ، وتصبح ميادين الحياة فسيحة حرة ، يستطيع فيها الشعب ان يبني مستقبله في ثقة واطمئنان وبسرعة ورشاد ، وان يجعل حياته قائمة على دعائم وطيدة ثابتة ، وايضا سليمة ونافعة . وهكذا تجند شعبنا بكل وحداته ومنظماته وبكافة رجاله ونسائه ليكافح كفاحا سياسيا متواصلا ضد النظام الجائر والجبروت الاستعماري .

وقد افاد هذا الكفاح شعبنا افادة كبيرة ، لا في النواحي السياسية والدولية والتاريخية فحسب ، ولكن وبوجه خاص في الميدان الاجتماعي ، حيث جعل افراد هذا الشعب يتكتلون في منظمات قومية ووحدات اجتماعية متعددة الاسماء موحدة الهدف العام ، متجهة كلها الى خدمة الشعب والعمل على تحريره تحريرا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا كاملا .

وهكذا اجتمعت طاقة الفرد الى اخيه وطاقة الجماعة

الى اختها حتى صار شعبنا يملك طاقات ضخمة للعمل والانتاج ، كلها منظمة موحدة ، منسجمة متعاونة . وانصرفت هذه القوى الشعبية الهائلة الى الكفاح المتعدد الجوانب المتسع الميادين ، لكن الميدان السياسي كان محور عملها ، وهدف كفاحها ، نظرا لسيطرة النظام السياسي على جميع الميادين وكافة انواع النشاط البشري في بلادنا .

سؤالان :

وهنا يحق للملاحظ ان يوجه السؤال التالي :

ترى لو لم يكن النظام الاستعماري يقتضي الكفاح لازالته استهلاك اكبر كمية واعظم انتاج لطاقاتنا الاجتماعية والنضالية ، أما كان يمكن ان تفعل تلك القوى الاجتماعية نفسها المعجزات في تقدم هذا الشعب وازدهار الحياة فيه ؟

غير ان هناك سؤالا آخر يمكن توجيهه على الصورة التالية :

هل كان لهذه القوى والطاقات النضالية ان تظهر وتتكتل بشكلها الحالي - على الاقل - لولا وجود الاستعمار نفسه ؟

الحقيقة اكبر !

وسواء أكان نصيب الحقيقة اوفر مع السؤال الاول ام مع السؤال الثاني ، فان هناك حقيقة ا كبر من الاثنين معا وهي ان قوى شعبنا وطاقاته الاجتماعية هي اليوم مجتمعة ومتكتلة ومنظمة وقادرة على الانتاج الضخم بصورة لانجد لها مثيلا في اي شعب من الشعوب التي تقف في مستوى شعبنا الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . وهذه الحقيقة الضخمة وهذا الواقع الرائع حري بنا ان ندرك اهميته وان ندرك امكانيات الانتفاع به والافادة منه لصالح شعبنا ولصالح كافة شعوب المغرب العربي ، هذه الشعوب التي هي وحدة تامة كاملة من كل الوجوه ، ومن صالحها الراهن وفي المستقبل ان تتفاعل اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، حتى تصل الى اهدافها الكبرى ومصيرها الموحد المشترك

حقائق باهرة

أيها السادة !

مما تقدم يمكن تلخيص الحقائق التالية :

(١) ان شعبنا يملك طاقات وقوى اجتماعية ضخمة للنضال والعمل الدائم والانتاج الفعال .

٢) ان تلك القوى والطاقات هي اليوم قوية ومنظمة احسن تنظيم ، ومهيأة للعمل والانتاج الاجتماعي الواسع

٣) ان تلك القوى الشعبيـة الهائلة مشغولة بالكفاح السياسي ، الذي هو ضروري لحفظ كرامة الفرد واسترجاع حرية الشعب واستقلاله الكامل .

٤) ان ذلك الكفاح السياسي الذي هو واجب وحتمى ينبغي ان يستمر في اسلوبه وبنظامه واتحـاده التام ، حتى

ينال شعبنا استقلاله وحريته الكاملين ، كما يطمح اليهما ويريدهما عاملين من عوامل حفظ سيادته على ارضه وازدهار حياته ورقي ابنائه جميعا .

٥) ولكي تنجح تمام النجاح ينبغي ان نزداد تماسكا واتحادا وتيقظا وحذرا ، حتى لا نقع في الاخطاء والمآزق تلك الاخطاء والمآزق التي تنشأ عن الشعور او الاعتقاد بان مهمتنا قد انتهت ، او ان من حقنا ان نستريح لنجني نحن او يجني قادتنا ثمرات الكفاح الذي كان بالامس يشغلهم عن تذوق طعم الراحة ولذة الحكم وأبهة السلطان .

الاستقلال ليس غاية:

وهنا احب ان الفت الاذهان الى الحقائق التالية :

١) ان الاستقلال بكل انواعه وعلى مختلف درجاته ليس غاية نهائية يسعى لها شعبنا او اي شعب آخر يكافح في سبيل حريته واستقلاله ، وانما هو وسيلة لبناء حياة الشعب الحاضرة والمستقبلة على اساس وطيد من الحرية والكرامة والعمل الدائم في سبيل توفير الرخاء والتقدم والعدالة الاجتماعية لجميع المواطنين . تلك الحقوق والمظاهر التي حرمنا منها النظام الاستعماري ، والتى لا يمكن تحقيقها كلها الا بزواله زوالا تاما شاملا .

٢) ليس من شيء يرفع رأس شعبنا بين الشعوب بعد الاستقلال السياسي - ان لم يكن معه - كالمستوى الراقي لحياة المواطنين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

٣) ان النظام الاستعماري عند ما يزول عن اي بلاد وفي بلادنا خاصة ، يترك وراءه مساويء حكمه وآثارها العميقة الجذور ، ويترك البلاد تعاني مشاكل متعددة متراكمة تجمعت طوال عشرات السنين التي حكم فيها البلاد واستنزف دماء اهلها ، وخيراتهم ، وبث فيهم كثيرا من الشرور والآثام الاجتماعية والاخلاقية .

مخلفات الاستعمار :

وهكذا فان مخلفات الاستعمار لن تكون دائما الا الفقر والمرض والجهل ، والبؤس والخصاصة والحرمان ، فضلا عن المحسوبية والرشوة وانهيار كامل في القيم الاخلاقية والاجتماعية .

وهذه التركة الاستعمارية من المساويء والمشاكل المختلفة سوف تستهلك من قوانا ومن جهودنا ومن وقتنا ايضا الشيء الكثير ، بل ان علاجها كلها والتخلص منها جميعا يحتاج الى سنوات عديدة ، ينبغي ان تتكتل فيها

الجهود وتتحد القوى وتنصرف اليها الهمم وكافةالامكانيات بكل نشاط واخلاص وتيقظ . وأقول بكل تيقظ لان النظام الاستعماري عند ما يسقط كله او بعضه تحت ضربات الشعب وبفضل كفاحه المستميت ، سوف لا يرضى بالهزيمة نهائيا ولا يستسلم الى مصيره المحتوم ، بل سيحاول ان يضع في طريق سيرنا العقبات ويحيطنا بكل انواع المشاكل والصعوبات ، خاصة الاقتصادية منها . لانه يعلم ان الاقتصاد هو دعامة الاستقلال ، وهو ايضا دعامة الحياة (١)

وليس المجال هنا بيان تلك العقبات والمصاعب التي سوف يلجأ اليها الاستعمار حتما ، ليظهرنا بمظهر العجز وعدم الكفاءة لادارة بلادنا بانفسنا . وانما اكتفي بتلك الاشارة اليها ، لان ثقتنا واعتقادنا كاملان في حذر زعمائنا وانتباههم الدائم ، ووعيهم الكامل للمشاكل التي تنجم عن سقوط النظام الاستعماري في الداخل والخارج . كما

---

(١) كانت الناحية الاقتصادية وظروفها المختلفة ، هي السبب الرئيسي في انهيار حكومة الدكتور مصدق في ايران، وضياع كفاحها الجبار ضد الاستعمار البريطاني . وهي ايضا السبب الرسمي المعلن عنه في بقاء الاحتلال البريطاني في الاردن وليبيا .

ان وعي شعبنا كفيل بان يمنع اي إنحراف باهدافه او تلاعب بحقوقه ٠

ولكي نتصور هذه المشاكل على خطورتها اكتفى بذكر اهمها اثرا واشدها وضوحا وخطرا ٠ ملاحظا انها جميعا قائمة الآن وتشكل واقعا مملوءا بالبؤس والظلم الاجتماعي والاقتصادي ٠ وهي لن تزول بعد زوال النظام الاستعماري بسرعة خاطفة كما قد يظن بعضنا ، وذلك لكثرة عددها من جهة ولتعقدها من جهة ثانية ، ولما يحتاج اليه علاجها من امكانيات مالية وعلمية وفنية لا تستطيع بلادنا بوضعها الراهن ان توفر الا القليل منها وهذا الوضع سوف يحاول الاستعمار الاستفادة منه اما لتحطيمنا او للمحافظة على بعض الامتيازات ومراكز النفوذ ٠ غير اننا سنكون دائما حذرين وعلى يقظة دائمة تجنبنا الوقوع في المآزق والاخطاء التي يستفيد منها الاستعمار ٠

اما تلك المشاكل فهي :

١ ـ البطالة التي تكون خطرا اجتماعيا واقتصاديا جسيما ، وهي ناتجة عن النظام الاستعماري في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والزراعية ٠

ولئن اختلفت ارقام العاطلين بين ما تعلنه المصادر الرسمية وبين ما تؤكده المنظمات القومية ؛ فان الارقام عند الجميع لا تقل عن اربعمائة الف عاطل ! ويرتفع هذا العدد عند بعضهم الى اكثر من نصف مليون ! وهو رقم مخيف بلا شك . مخيف في ضخامته ، مخيف فيما ينطوي عليه من بؤس وانهيار اقتصادي واجتماعي كاملين ، مخيف فيما يحتمل ان يؤدي اليه مع المستقبل .

٢ ـ عدم التوازن الاقتصادي الدائم بين الدخل العام للبلاد وحظ الفرد منه . مما جعل مستوى حياة الكادحين في انخفاض مستمر . وذلك ما يستوجب بالخصوص اعادة النظر عاجلا في :

أ) توزيع الثروة العامة خاصة الارض ، مع توزيع اراضي الحكومة والاوقاف على العمال الزراعيين وصغار الفلاحين ، والبدو الرحل ليستقروا في الارض ، ومد الجميع بالمساعدات اللازمة لنجاحهم في حياتهم .

ب) ضمان العمل لكل قادر عليه ، وجعل كل عمل قانوني كفيلا بتوفير العيش اللائق والحياة الكريمة للفرد

ج) تأميم الشركات الكبرى ، كشركات الغاز والماء والنور ، والنقل ، وكافة مصادر الثروة العامة .
واذا لم يكن ذلك مستطاعا لسبب او لآخر ، فينبغي مراقبة هذه الانواع من الشركات مراقبة دقيقة، ووضع حد لاستغلالها الواسع، سواء لليد العاملة او للمستهلكين . كذلك بفرض ضرائب تتناسب مع ارباحها الضخمة التي قد تبلغ عدة ملايين في اليوم الواحد للشركة الواحدة .

وأي ظلم ابشع من ان يعيش بضعة افراد أو شركات بارباح يومية تسد حاجة نصف مليون مواطن ، هم جميعا اليوم لا يجدون حتى الخبز العتيق الناشف ، بينما يطعم اولئك المترفون كلابهم اللحم والسمك والشوكولاطه !!

ثم يقذفون بفضلات « الكلاب » وصناديق « الزبالة » الى الجائعين الواقفين على الابواب ، وذلك هو الاسلوب الوحيد الذي يعالجون به مشكلة نصف مليون من البشر المهددين بالموت بين لحظة واخرى !!

ترى هل فكرنا فعلا في خطورة هذه المشكلة ؟!

٣) نظام الضرائب الذي يجبى في الوقت الحاضر ومنذ الاحتلال بصورة غير عادلة ، حيث تتكون الميزانية

التونسية من حوالي ثمانين في المائة ضرائب غير مباشرة اي المفروضة على الاستهلاك ، والباقي وهو حوالي عشرين في المائة فقط ياتي من الضرائب المباشرة اي على الدخل وكان يجب في شعب كشعبنا ان يكون العكس تماما ، اي ثمانون في المائة على اصحاب الثروات والشركات وعشرون في المائة على الاستهلاك . وهذا يقوم قبل كل شيء على فرض قانون للضرائب التصاعدية ، واعفاء الحد الادنى للدخل من كل ضريبة مهما كان نوعها .

٤) التوزيع غير العادل في صرف الميزانية ، حيث ينفق اكثرها على الموظفين والمصالح التي لا يعود منها نفع على الشعب . في حين يحرم الشعب من حاجاته الضرورية كالتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية الاخرى ، كالانعاش الزراعي والصناعي والتجاري .

٥) الاهمال التام لاحياء الارض وتعمير البادية ، بينما الواجب هو احياء الاراضي المهملة بالوسط والجنوب وتعميرها بمنابع العيش والاستقرار وجعل البدو يستقرون بها مع رفع مستوى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية .

٦) النظام التجاري والصناعي القائم الآن ، والذي

يعوق التونسيين عن التقدم في هذين الميدانين ، ويمنع الرأسمال التونسي ان ينمو ويزدهر ، والرأسمال الاجنبي ان يدخل البلاد ويساهم في انعاشها وتقدمها .

٧) مشكلة الامية الضاربة اطنابها في كل مكان ، والتي تجعل المواطنين في مستوى ادنى عقليا واجتماعيا .

٨) مشكلة الطفولة المحرومة من التعليم والتي تعاني التشرد وتتعلم الاجرام ، أو يزج بها في مؤسسات تبشيرية لتخرجها عن دينها ولغتها .

٩) مشكلة الثقافة عامة والتعليم خاصة ، حيث ان المدارس في الوقت الحاضر لا تكفي لابنائنا ، وخاصة التعليم الثانوي الذي ينبغي توسيعه حتى يقبل ويشمل جميع الراغبين في الالتحاق به . كذلك ينبغي رفع جميع القيود والانظمة العائقة لتقدم التعليم ورفع مستواه في بلادنا .
كذلك يجب ان يكون التعليم الابتدائي ميسرا واجباريا حتى يشمل كافة الاطفال المتأهلين له والمحرومين منه ، مع تبديل كافة البرامج وتعريبها في المرحلتين الابتدائية والثانوية . هذا ولابد من معالجة كافة المشاكل الثقافية وحلها بروح علمية تقدمية تهدف الى البناء والتشييد وتكوين

المواطن الصالح تكوينا عمليا نافعا للفرد والمجتمع. ولكي نبني مستقبل شعبنا الثقافي على اسس وطيدة ، يجب ان يتلقى كافة ابناء شعبنا تعليما واحدا، وببرامج واحدة. وهذا المستقبل يقتضينا حل مشاكل التعليم الزيتوني والاهتمام بوجه خاص بارسال البعثات الى اوروبا والى الشرق ، مع العناية بتكوين المعلم الابتدائي والثانوي ، وزيادة معاهد المعلمين والمعلمات ، واحداث دار معلمين عليا لتخريج الاساتذة للمدارس الثانوية الموحدة ، واعطاء عناية خاصة بالبنت والمعلمة في وقت واحد .

ويتفرع عن مشاكل الثقافة والتعليم ، مشكلة مهمة: هي الثقافة الشعبية ، وما تقتضيه من وجود معاهد ليلية للتكوين الفني والعلمي ، والعناية بتوجيه المواطنين نحو السلوك الافضل بواسطة الارشاد الاجتماعي (١) والنوادي الاجتماعية التي يمكن عن طريقها ان نقضي على اخطار كثرة المقاهي والتسكع والانطوائية الشائعة في سلوك الافراد .

---

(١) لا يعني الارشاد الوعظ المعروف ، بل هو دروس توجيهية وتطبيقية حول المعاملات الاجتماعية وتنظيم الحياة المنزلية اقتصاديا وصحيا وبذل الجهود لزيادة تقدم الفرد وغير ذلك

كذلك ينبغي الاهتمام بمشكلة التعليم الفني وضرورة الاكثار من مدارس التجارة والصناعة والزراعة ، لرفع مستوى هذه المهن واستخدام الآلات الميكانيكية ونتائج التطور العلمي في تلك الميادين .

١٠) واخيرا ، أذكر مشكلة معقدة يعاني منها المواطنون الويلات الكثيرة ، دون ان تتجسم اخطارها للناس وللمسؤولين بوجه خاص . تلك المشكلة هي فساد الجهاز الاداري ، هذا الفساد الذي يتمثل في النقاط التالية:

أ) التعقيد في الاجراءات والاطالة والتسويف في تصريف الامور ، او ما يعبر عنه « بالروتين » الاداري. وهو يسبب ضياع اوقات المواطنين واحيانا مصالحهم.

ب) المحسوبية والوساطات مما ضيّع الكفاءات، وجعل الفرص غير عادلة ، لا في الوظيفة فقط ، ولكن حتى في انجاز الاعمال ، حيث تجري المصالح المتماثلة باساليب مختلفة ،حسب قيمة الاشخاص ومركزهم الاجتماعي ، او حسب قوة الواسطة التي يتقربون بها .

ج) الرشوة واستغلال النفوذ ، الامر الذي لم يعد خافيا على احد .

اخلاص وتعاون :

هذه أيها المواطنون مجموعة من المشاكل التي يعانيها اليوم شعبنا والتي ستستمر الى ان ينال شعبنا حريته واستقلاله، وعندئذ سيبدأ العمل الكامل والكفاح الاجتماعي الواسع للقضاء عليها ، وهكذا اشعر واحس ، ولعلكم جميعا تشاركونني في هذا الشعور والاحساس ، بأن الاستقلال لن يكون افراحا ومسرات ، ولا معجزات تهبط من السماء بمجرد ظفرنا به ، فتحول حياة الناس في ايام معدودات من كل ما هو سيء ومتأخر ، الى كل ما هو حسن ومتقدم ، فيرفع الجهل والفقر والمرض عن سواد شعبنا ، وتختفي من حياتنا واداراتنا تلك الامراض المتعفنة التي أكلت الضمير وافسدت اخلاق المواطنين واصابت القيم العادلة في الصميم . ومن هنا احس بان الاستقلال سيكون عبئه ثقيلا ، وبان توطيد دعائمه لفائدة الشعب وحده ، سيكون اصعب من الكفاح في سبيله . ولهذا ينبغي ان يخلص كل مواطن الاخلاص الكامل لهذا الشعب الذي اكل حقوقه ومواهبه سرطان الانحطاط والاستبداد في العصور المظلمة وسرطان الاستعمار في العصر الحديث !. وينبغي كذلك ان

ننقطع لخدمته كل في ميدانه الخاص، وان نتعاون في الميادين العامة تعاونا كاملا وان نقدم مصلحته وفائدته على مصالحنا وفوائدنا الشخصية. وكل هذا ميسور لنا، وعندنا الاستعداد والامكانيات اللازمة له. وقد قدم شعبنا الامثلة الرائعة على ذلك الإخلاص والاستعداد. وتلك التضحية والبطولة. وهذا ما يساعدنا الى ابعد حد على حل مشاكلنا والتغلب على كل الصعوبات التي ستلد مع المستقبل.

قوانا الهائلة:

أيها المواطنون لقد قلت فيما تقدم: ان مشاكلنا بعد الاستقلال لن تكون سياسية، بل ستكون اجتماعية واقتصادية وثقافية. واننا سنجابه اول الامر مخلفات النظام الاستعماري، وما فيها من مشاكل ومساويء، وان علاجها سيكون طويلا، لطول ما تراكمت في حياتنا. وقلت كذلك ان عندنا طاقات وقوى هائلة للانتاج والاصلاح والبناء من جديد، وان تلك الطاقات منظمة احسن تنظيم، وفيها كل امكانيات النجاح والعمل المثمر المجيد.

والآن احب ان استعرض تلك القوى الهائلة، وتلك الامكانيات الزاخرة فيها، بعد ان عرفنا بعض مشاكلنا

لنصل الى معرفة وظيفة كل منها في المستقبل ، ومجال عملها وصفات كل فرد ضمن وحدته الاجتماعية .

إنه من دواعي الفخر والابتهاج حقا : ان نجد شعبنا من ناحية التنظيم ووحدة الاتجاه في مقدمة الشعوب العربية والاسلامية، وحتى عن شعوب اخرى . وليس من شك في ان هذه الوحدة في الاتجاه وذلك التنظيم للصفوف انما هو وليد كفاح طويل وتجارب قوية ، وتضحيات هائلة ، وايضا نتيجة مواهب الزعماء والقادة الذين تولوا قيادة هذا الشعب وسيروا صفوفه بسداد وعبقرية فائقة . وهنا يقفز اسم الفقيد فرحات حشاد بوصفه القائد الشهيد والرائد العظيم للنضال الاجتماعي ، وخاصة في وحدة الصفوف ، ودقة التنظيم ، وقوة العزم وحذق التصميم ، مما لا نجد له مثيلا في اي بلد آخر .

وهكذا سيبقى اسمه خالدا في حياتنا وتاريخنا كرمز عظيم ، للعبقرية والبطولة ، وللاخلاص للشعب الذي بنى حياته واوجد فيه حياة ، وادراكا لقيمة الحياة . وستبقى الى جانبه اسماء محمد علي والهادي شاكر، واسماء كافة القادة والمكافحين ، والضحايا والشهداء ، كمثال نبيل لبطولة

شعبنا وصموده القوي وكفاحه الباسل المجيد .

واليوم نشاهد حصاد ذلك المجهود الجبار ، وتلك العبقريات الباهرة ، وذلك الكفاح الشامل متمثلا في وحدات الشعب ومنظماته القومية ، هذه الوحدات والمنظمات التي هي دعائم قوية لبناء مستقبلنا الاجتماعي والاقتصادي والثقافي . اما هذه المنظمات فهي :

١ — الاتحاد العام التونسي للشغل ، الذي يجمع وحدات نشيطة من العمال «١» فيها طاقات هائلة للعمل والانتاج ، وهي في الوقت نفسه بحاجة اكيدة وضرورية الى ان تزدهر وتتقدم عقليا ، واقتصاديا واجتماعيا .

٢ — اتحاد الفلاحة التونسية ، الذي هو الآخر عماد ثروة البلاد وركن حياتها الاقتصادية الركين ، وبحاجة اكيدة الى تطور وتقدم لحياة الفلاحين ، وللفلاحة نفسها .

٣ — اتحاد الصناعة والتجارة التونسية ، الذي يمثل روح الحياة بكل انواعها وعلى اختلاف ميادينها ، وهو

(١) يبلغ عدد العمال المنخرطين في الاتحاد اكثر من مائتى الف عامل

ايضا بحاجة الى تعاون كامل مع سائر المنظمات الاخرى ومع الشعب والحكومة ، لكي يساهم في رقي البلاد التجاري والصناعي ، ويعمل على حل كثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، فهو الذي يمثل الرأس المال التونسي ، الذي ينبغي ان يساهم في حمل اعباء النهوض الصناعي والتقدم التجاري .

٤ – جمعيات واتحاد الطلبة التونسيين - في الداخل والخارج - التي ينبغي ان تستعد وتساهم من الآن في تحقيق مستقبلنا الاجتماعي والثقافي والاقتصادي . فهي تستطيع ان تقوم باخطر الاعمال وادق المهمات ، نظرا لما يتصف به اعضاؤها من نشاط ، ومثالية ، واستعداد دائم للتضحية والانتاج .

٥ – الجمعيات الكشفية : وهي بنظامها ومبادئها تستطيع ان تكون اداة فعالة للارشاد والتوجيه الاجتماعي ، والاسعاف وحفظ الصحة ، وغيرها من الشؤون الاجتماعية . وان تكون كذلك نواة البطولات القادمة .

٦ – الجمعيات الثقافية والفنية وغيرها . وهذه

تستطيع ان تنهض باعباء ثقافية متعددة ، خصوصا من الناحية الشعبية .

٧ – المرأة ، وهذا جانب خطير نظرا لان المرأة في ذاتها مازالت متأخرة عن الرجل بصورة عامة ، ولأنها ايضا ما تزال تكون مشكلة اجتماعية لم يقع حلها بعد ، ومع ذلك فان عددا ليس بالقليل من النساء المتعلمات ، وخاصة الطالبات يمكنهن ان ينهضن بجانب كبير من حياتنا الاجتماعية والاقتصادية .

هذه أيها المواطنون هي القوى الهائلة التي يملكها شعبنا ، وهي جميعا ، تتكون من وحدات اجتماعية موحدة ، ومنظمة احسن تنظيم ، ما عدا المرأة ، التي ما تزال تحتاج الى كثير من العناية والتوجيه والتنظيم . وتلاحظون انني لم اذكر بين تلك المنظمات ، الحزب الحر الدستوري العتيد ، وشبيبته الدستورية الباسلة ؛ وذلك بوصفه منظمة سياسية ، ستبقى كذلك حتى بعد الاستقلال ، وستكون عليه اعباء جمة كبيرة في الميدان السياسي داخليا وخارجيا ولكنه يستطيع – وخاصة بواسطة الشبيبة والشُعب – ان يشرف على كثير من المشاريع ويقدم لها كل

الضمانات والمساعدات المادية والمعنوية اللازمة لنجاحهـا .

ولقد بدأ فعلا في العمـل الواسع المتعدد الجـوانب لمقاومة الامية ، واعداد الشبيبة للمستقبل بكل احتمالاته .

ومما تـتقدم تدركـون حضراتكـم اننا نملك امكانيات هائلة للمستقبل وكلنا يعلم كيف انتفعنـا من تلك المنظمات طوال السنوات الماضية رغم العقبات الاستعمارية وكل الشدائـد والمحن التي يعانيها شعبنا . اما غـدا عند ماتصبح الامور بايدي القادة المخلصين ، فان آمالنا جميعا يمكن ان تـتحقق . وهـكذا ينبغي ان نـفكر من الآن في القواعد والبرامج التي سنبني عليها وبهـا حياتنا الجديـدة ومستقبلنا المنتظر . وانني اعتقد ان تلك المنظمات لما تمتاز به من نظام ووحدة في الاتجاه ، وما عندها من امكانيات النجاح ، تستطيع ان تصنع لبلادنا المعجزات . وان تنهض بشعبنا في سنوات قليلة .

طريق العمل :

وانتقـل بـكم الآن الى النـاحية الاخيـرة من الموضوع ، وهي عبارة عن مقترحات عاجلة ومختصرة لانواع من العمل يمكن ان تقوم ببعضها تلك المنظمات .

وتقوم ببعضها الآخر الحكومة نفسها . وابدأ اولا بعد الميادين والمشاريع المقترحة ، وكلها على سبيل المثال لا الحصر :

اولا - الميدان الاقتصادي :

هذا الميدان واسع جدا ، ولكنه حيوي ودقيق في وقت واحد ، لذلك ينبغي ان يكون اساس كل نهضة ومحور كل نشاط ، كما يجب ان نبتعد به وبمشاريعه عن اسلوب الارتجال الذي كان ولا يزال طابع تفكيرنا وحياتنا الاقتصادية . فاكثر المواطنين لا يزالون يفكرون ويعملون في الحقل الاقتصادي باساليب عقيمة ليس فيها من قواعد الاقتصاد واساليبه الحديثة شيء يذكر ، وهم الى ذلك يخافون من الاعمال التجمعية كالشركات خوفا شديدا مبعثه الجهل من جهة ، وعدم الثقة في الآخرين من جهة ثانية ، وجمود العقلية عند اصحاب المال من جهة ثالثة . فهؤلاء لا يؤمنون الا بنوع محدود من الاعمال ، وهو النوع الذي الفوه عادة ومارسوه منذ زمن بعيد ، واحيانا ورثوه عن آبائهم . والقليل من هؤلاء من تجد فيه قابلية نافعة للتطور ، ولو في اساليب المعاملة والانتاج

لذات العمل . كذلك نجد سلوك التجار والبائعين مع المستهلكين والمشترين ، لا يلائم مطلقا عصرنا الحاضر ولا تطورنا الاجتماعي . ويشمل ذلك طريقة عرض البضائع ، والمحادثة مع الحرفاء ، والجو النفسي الذي يسود كل معاملة . وهذه الجوانب وغيرها قد يراها بعض الناس تافهة وليست ذات اثر في تقدمنا الاقتصادي . غير ان الواقع خلاف ذلك ، ويمكن ان تقوم بجولة في الاسواق ونمارس بعض التجارب في المعاملات لنرى كيف يكون الفرق بين ما نلقاه من البائعين والتجار التونسيين ، وبين ما نلقاه من الاجانب واليهود . ان القيام بهذه التجربة سيرينا عدة اسباب لنجاح الاجانب واليهود السريع المطرد في اعمالهم التجارية ، بينما لم ينجح من العرب الا افراد قلائل .

وعلى اية حال ساذكر هنا نوع المشاريع التي يمكن تحقيقها عن طريق التعاون الفعال ، وساذكر الى جانبها بعض الملاحظات الخاصة والمقترحات العامة ، التي اعتقد انها طريق من طرق النجاح في حل مشاكلنا من جهة ، ورفع مستوى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية من جهة اخرى .

على انني اعتقد أن الامر ليس متوقفا على كثرة الاراء والمقترحات او كثرة ما تحتوي عليه من التفاصيل ، بقدر ما هو متوقف على التفكير الانشائي والروح الايجابية اللذين ينبغي ان يتحلى بهما المسؤلون عن المنظمات من جهة ، والحكومة التونسية من جهة اخرى . واذا كان المسؤولون عن المنظمات قد برهنوا حتى الآن عن كفاءة واستعداد كاملين بما اعدوه من مشاريع للمستقبل ، فان على الحكومة التونسية ان تنهض هي الاخرى بقسطها — وهو كبير — في النهوض بالبلاد ، وانتشالها من واقعها المنهار في كل الميادين .

ويتمثل واجب الحكومة في امرين رئيسين :

الاول - تشجيع جميع المشاريع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في البلاد ، وبذل اقصى ما يمكن من المساعدات والتسهيلات لجميع ما هو موجود أو سيوجد مع الايام .

الثاني - ان تعد هي الاخرى مشاريع اقتصادية وثقافية واجتماعية ، تنهض بالشعب نهوضا شاملا متواصلا . وان خير اسلوب تعتمده الحكومة هو مشاريع السنوات الخمس ، سواء في احياء اراضي الوسط والجنوب او في مقاومة الامية ، او في اي ميدان آخر . اما البطالة فان على الحكومة ان تقضي عليها

سريعا ، وذلك بوسائل كثيرة لا يحتاج تنفيذها أو ايجادها الا الى قليل من الجرأة وكثير من الاخلاص والتجرد من المنافع الشخصية او الاعتبارات المختلفة .

وأحب ان الاحظ هنا ، بان أية إعانة خارجية لن تجدي شيئا ، اذا لم نعتمد على انفسنا الاعتماد الكلي ، في حل مشاكلنا ، وبناء نهضتنا الاقتصادية والاجتماعية المنتجة.

ان المساعدات الخارجية قد تجدي في تسكين اوجاع المشاكل ، ولكنها لا تحلها حلا نهائيا . واعتقد ان طريق ذلك انما هو محصور في الامور التالية :

أ - تأسيس بنك تونسي وطني للحكومة ، يكون له رأس مال ضخم ، يتكون اكثره مما ترصده له الحكومة سنويا ، ثم من اسهم المواطنين ، ويتولى البنك اصدار النقد التونسي ، وتمويل مشاريع النهوض الاقتصادي الحكومية والشعبية ، ويساهم في مضاعفة الانتاج القومي وتحسينه وحل كافة المشاكل . ويستطيع هذا البنك كذلك ان يكون شركات للبواخر والطيران وخطوط المواصلات البرية الواسعة ليضع حدا نهائيا لاحتكار النقل وانحصاره في شركات اجنبية ، داخليا وخارجيا . وكذلك يقوم بانشاء مصانع ضخمة لكثير من المصنوعات التي تستوردها البلاد من

الخارج ، كالسكر والورق والمنسوجات والمواد الكيمياوية والمستحضرات الطبية ، والكبريت والزجاج وغيره .

أما الخبرة الفنية فيمكن الحصول عليها عن طريق الخبراء والفنيين الاجانب ، الذين يمكن جلبهم من كل مكان في العالم اذا تأكدوا من وجود مكانة لائقة ورواتب مناسبة واعمال دائمة .

لقد استعانت مصر وكذلك سوريا في بناء نهضتيهما الصناعيتين بعدد من الخبراء الاجانب . ولقد شاهدت بنفسي مقدار التقدم الواسع الكبير الذي وصلت اليه كل من مصر وسوريا في ميدان الصناعة . ومازالتا تبذلان المزيد من الجهود لزيادة التقدم الصناعي .

ففي سوريا مثلا : تحولت مدينة حلب الى مدينة صناعية كبرى ، يمكن للمرء ان يجزم بانها «ليفربول» الشرق لكثرة ما فيها من المصانع الضخمة للغزل والنسيج فضلا عن المصانع الاخرى . وقد حمل تطورها وتقدمها الصناعي المطرد ، حمل الحكومة السورية على اختيارها مركزا لكلية الهندسة بدلا من ان تكون هذه الكلية الى جانب بقية كليات الجامعة السورية في دمشق

كذلك شاهدت بنفسي معملا ضخما للسكر في

مدينة حمص ، يستطيع ان ينتج من السكر ما يكفي لسد حاجة الشرق الاوسط كله من هذه المادة . ومع ضخامته هذه فانه مكون من اسهم شعبية فقط ، اي ان احدا من الاغنياء لم يساهم فيه . وقد استطاع هذا المعمل ان يضمن لنفسه محليا ثلث ما يحتاج اليه من «البتراف» السكري عن طريق تشجيع الفلاحين لزراعته ، وكذلك بامتلاكه لمساحات كبيرة من الارض وتوليه زراعتها بنفسه .

ونحن في تونس يمكننا ان نقوم بعمل مماثل سواء في زراعة القطن لمعامل النسيج بعد تأسيسها او زراعة البتراف وقصب السكر لضمان المواد الاولية للمعمل الذي ينبغي انشاؤه لانتاج السكر .

اما في مصر ، فان الدور الذي لعبه بنك مصر في نهضتها الصناعية والاقتصادية بوجه عام لم يعد مجهولا عند احد .

اما الجمعيات التعاونية والتعاضديات الاقتصادية فانها من وسائل التقدم والازدهار الاقتصادي ، سواء أكانت صناعية أم تجارية أم زراعية . فالاكثار منها ضرورة يوجبها مستقبلنا الاقتصادي .

وهنا ملاحظة لابد من تقديمها الى الاتحادات النقابية عندنا ، سواء اتحاد العمال او اتحاد التجار او اتحاد الفلاحين ، هذه الملاحظة هي ان كلاً منهم يستطيع منفردا ان يحقق كثيرا من المشاريع الاقتصادية بواسطة التعاون الفعال بين اعضائه . ويستطيع كل منهم ايضا ان يوفر لنفسه عددا ليس بالقليل من الخبراء والفنيين التونسيين ؛ وذلك بان يرسل كل اتحاد على نفقته الخاصة عددا من الطلاب الى المصانع والمعاهد في اوروبا للتخصص في الحقول التي تحتاجها مشاريعه . ويكون ذلك باتفاق كتابي بين الطالب وبين الاتحاد ، يتعهد فيه الطالب بان يعمل عددا من السنين في مؤسسات الاتحاد ، وإلا دفع تعويضا ماليا ، ويتعهد فيه الاتحاد بالانفاق على الطالب اثناء تعليمه وتشغيله بعد التخرج . ومثل هذا النوع من الارساليات تقوم به المصانع في سوريا وكذلك البلديات في مختلف المدن السورية . (١)

فمصنع السكر في مدينة حمص مثلا يتولى الانفاق على عدد من الطلاب الذين يتخصصون فيما يحتاج اليه المصنع من خبرات تكنيكية .

(١) انظر الكلام الخاص بالبلديات صفحة ١٠٨ .

ب - احداث وزارة تسمى وزارة الانتاج القومي تكون مسؤولة عن جميع المشاريع الاقتصادية والاجتماعية وتشرف علي تنفيذها وتدبير اموالها بالتعاون مع جميع المصالح والوزارات التي يعنيها الامر .

ومن اولى واجبات هذه الوزارة ان تتولى بنفسها تنفيذ المشاريع المختلفة ، على ان تبدأ قبل كل شيء بالمشاريع المنتجة لاحياء الاراضي بالوسط والجنوب ، وحفر الابار والاستفادة من السدود، باقامة مشاريع انتاجية عليها كتوليد الكهرباء . وتوزيع المياه على الفلاحين التونسيين وتعمير البادية وغراستها باشجار الزيتون او بغيرها حسب نوع التربة ، وجلب انواع الحوامض الرفيعة من ايطاليا وامريكا كما فعلت لبنان فاصبحت بعد سنوات قلائل تصدر الفواكه الى مصر والشرق ، والى اوروبا نفسها . كذلك تشرف هذه الوزارة على توزيع الاراضي للعمال الزراعيين وخريجي المدارس الزراعية، وكل من عنده الاستعداد والرغبة لان يكون فلاحا ناجحا . وان تعمل على تكوين المزارع التعاونية وايجاد قرى جديدة في الاراضي التي يقع احياؤها.

وكذلك تقوم باعداد مشروع الشجرة ويوم الشجرة

لغرس جميع الجبال والمرتفعات وجوانب الطرقات ، وحول جميع المدن والقرى ، لتصبح تونس (خضراء) حقيقة ، اي اسما ومسمى . على ان تكون اشجار الجبال غابات تدر أموالا من اخشابها او ثمارها ، ويعمل فيها العمال العاطلون . اما تشجير القرى والمدن وما حولها ، فينبغي ان يتم غرسها عن طريق التطوع من افراد الشعب وخاصة الشباب وطلاب المعاهد .. وتشرف هذه الوزارة على بناء المعاهد والمساكن الشعبية . وهذا يقتضي الغاء وزارة التعمير والبناء وتحويلها الى مصلحة تابعة لوزارة الانتاج القومي .

وقد تكونت في العراق وزارة بهذا المعنى سميت «وزارة الاعمار» ورصدت لها الحكومة مبلغا يفوق المائة والخمسين مليارا من الفرنكات لمدة خمس سنوات . وكذلك فعلت مصر بانشاء مجلس الانتاج القومي للنهوض بالاقتصاد المصري . ونستطيع نحن في تونس ان نرصد لمشاريع وزارة الانتاج القومي اكثر من تسعين مليارا لمدة خمس سنوات ، تكون الحكومة مسؤولة على ان توفر لها سنويا خمسة عشر مليارا على الاقل . وهذا المبلغ يمكن الحصول عليه بالوسائل التالية :

أ) سن قانون للضرائب التصاعدية ، يشمل الشركات والمتاجر الكبرى ويعفى منه الحد الادنى للعيش الضروري

ب) اجراء تخفيض في مصروفات الدولة في الميادين التي لاتؤدي خدمات مباشرة للشعب . وينبغي ان لا يقل هذا التخفيض في مجموعه عن ١٠ ٪ من كامل الميزانية ، وبذلك نستطيع ان نوفر ما لا يقل عن ست مليارات سنويا.

ج) خفض رواتب الموظفين وكل من يعيش من ميزان الدولة على الصورة التالية :

١ - لا يشمل التخفيض من كان راتبه الشهري كله خمسين الفا فاقل

٢ - يبتدىء التخفيض من واحد وخمسين الفا الى ثمانين بنسبة ٥ ٪ ومن ٨١ - ١٣٠ ب ١٠ ٪ ، ومن ١٣١ - ١٨١ ب ١٥ ٪ ، ومن ١٨١ - ٢٣١ ب ٢٠ ٪ . وهكذا صعودا . على ان يقف هذا التخفيض بعد خمس سنوات ، وان تحول الحكومة دون اي زيادة في اسعار المواد الضرورية .

د) الغاء كافة المصاريف الخصوصية مثل مصاريف سيارات الموظفين الخاصة والوزراء وما الى ذلك .

هـ) فرض ضرائب اضافية ولمدة خمس سنوات على: السجائر ، الخمور ، الحانات الملاهي كالمقاهي والسينمات والمراقص والمسارح وسباق الخيل . وكذلك على جميع انواع الكماليات التي ينبغي احصاؤها في قائمات تعلن للعموم ، وان توخذ ضرائبها من الجمارك او من محلات انتاجها ان كانت محلية . وكذلك تفرض ضريبة على الطلاق وتعدد الزوجات . !

ان هذه المقترحات ستبدو لطائفة من الناس غريبة أو غير عملية ، كما ان بعضها الآخر سيثير غضب الذين يعيشون من بؤس الشعب وعرق ابنائه ودمائهم . فاليهم جميعا أقول :

إن مقترحاتي الخيالية - في نظركم - ستكون غدا هي الواقع الحي والنظام القائم في مجتمعنا . وهي الى ذلك ليست كل ما اتوقع حدوثه او يريده الشعب . ولن يطول الانتظار حتى يصنع شعبنا انقلابه الاجتماعي العظيم ، ليقيم به نظاما اشتراكيا سديدا : اساسه المساواة التامة بين جميع المواطنين في الفرص والحقوق والواجبات وغايته منع كافة انواع الاستغلال والاستعباد والاحتكار ،

وايجاد مجتمع لا اثر فيه للظلم والبؤس والفقر والبطالة ، ولا وجود فيه للجهل والرأسمالية والاقطاع . فان ادركتم واجبكم اليوم ، فاخلصتم لشعبكم ، وعشتم له لا عليه ، فان الشعب سيهتف بأسمائكم ، ويحي ذكراكم ، ويمجد تاريخكم ، وان انتم لم تفعلوا ذلك ، فسيزيحكم من طريقه ويبنى على انقاضكم ما يريد !!

ثانيا – الميدان الثقافي :

لقد أشرت اكثر من مرة الى انواع العمل الذي ينبغي ان نقوم به في هذا الميدان (١) غير اني أشير هنا الى موضعين خطيرين هما ، الصحافة والامية :

١ - الصحافه :

ان عمل الصحافة في حياة الشعب واثرها في تقدمه وانارة الرأي العام بل وقيادته لا يشك فيه احد . ومن اجل المستقبل الكبير الذي ارجوه للصحافة العربية في بلادنا ، اقترح ان نعطيها نصيبا لائقا من الاهتمام والعناية وذلك لا يتم الا بان نوفر لها :

أ) حرية كاملة في التعبير

(١) انظر ص ٨٤ – ٨٥ – ٨٦ من هذا الكتاب

ب) اقبالا متزايدا من القراء
ج) مشاركة دائمة بالاعلانات من التجار والشركات
د) تكوين شركات مساهمة للطباعة الحديثة
ه) تكوين شركات مساهمة للصحافة تتولى اصدار صحف يومية واسبوعية مصورة تساير ، الزمن وتغني القراء عن الصحف الاجنبية . ومثل هذه الشركات موجودة بكثرة في اوروبا وامريكا ، وفي مصر .

د - تكوين شركات مساهمة للنشر والتوزيع تقوم بنشر تراثنا القديم الذي يحتضنه الغبار والاهمال في خزائن المكتبات العامة والخاصة ، ونشر تراثنا الحديث الذي يوشك هو الآخر ان يضيع بسبب عجز اصحابه عن نشره . كما تقوم في الوقت نفسه بتنظيم التوزيع في داخل البلاد وخارجها لكل مطبوعاتنا ، من صحف يومية واسبوعية ومجلات وكتب مختلفة ؛ وبذلك نقضي على مظاهر الضعف في توزيع منشوراتنا من جهة ، ونساعد صحافتنا وناشرينا على النجاح من جهة ثانية ، ونقضي على جميع انواع الاحتيال والتلاعب التي تقع باسم الصحافة وعلى كاهلها وحقوقها . ان ايجاد مشروع للتوزيع لا يكلف راس مال كبير ، ويستطيع فرد واحد يتصف بالنشاط والخبرة ، ان

يقوم به وينجح فيه . وسيكون لمثل هذه المشاريع مستقبل عظيم في بلادنا .

٢ - الامية :

ان مقاومة الامية - العدو الاجتماعي الثالث ، بعد الفقر والمرض - تقع على عاتق الحكومة التي يجب عليها ان تستخدم المدارس النهارية لتعليم الكبار في المساء حسب برامج موحدة منظمة ، تأتي بالنتائج في اقل وقت ممكن . وينبغي ان تستعين بخبير دولي في عملها .

غير ان من واجب كافة الجمعيات والمنظمات القومية ان تساهم بنصيبها في الكفاح ضد الامية ؛ وذلك بتكوينها لمدارس ليلية في نواديها ومراكزها . كذلك يجب على الطلاب والمعلمين والاساتذة ان يساهموا بدورهم في الموضوع .

واعتقد ان تأليف لجنة شعبية تمثل المنظمات المختلفة وتتعاون معها الحكومة وكل المتطوعين للعمل ، هو خير وسيلة عملية للنجاح . على ان يتم كل شيء قبل نهاية العام الحالي ١٩٥٥

ثالثا - الناحية الاجتماعية ، وهذه تنظم البرامج فيها

عن طريق تأسيس النوادي الاجتماعية والمستشفيات الاهلية ومراكز التوجيه الاجتماعي بواسطة المسارح والسينما ، وتنظيم اوقات الفراغ عند العامل والطالب ، وكل مواطن .

البلديات :

وهنا الفت انظار المواطنين والحكومة معا ، الى وجوب ابدال البلديات الحالية وتغيير اساليبها ونوع الاعمال التي تقوم بها . واول خطوة الى ذلك هي ان تكون شعبية منتخبة انتخابا حرا مباشرا ، وان تعمل على ترقية المجتمع إجتماعيا وثقافيا وصحيا . ومن الضروري ، في شعب كشعبنا ، ان تكون البلديات خير أداة لتحسين المدن والقرى لا من ناحية النظافة ونظام الشوارع وجمال العمران فحسب ، بل وفي رفع مستوى الحياة الاجتماعية والصحية والثقافية للمجتمع . وذلك بان تتولى البلديات - كما هو الحال في سوريا والسويد والدانمرك - تأسيس المستشفيات ودور الامومة والطفولة والملاجيء للكبار والصغار ، وانشاء المدارس الابتدائية والثانوية وارسال عدد من طلاب كل منطقة ليتخصصوا على حساب بلديتها فيما تحتاج اليه من اطباء ومهندسين ومدرسين .

التعاون التام :

ويمكن تحقيق تلك المقترحات وغيرها بواسطة برامج مبسطة وواسعة جدا . وايضا نستطيع جميعا القيام بها عن طريق التعاون التام ، والاختصاص اللازم . فالناحية الاقتصادية مثلا على عاتق اتحاد الصناعة والتجارة واتحاد الفلاحة ، وكذلك الاتحاد العام التونسي للشغل . غير ان من واجب كل مواطن ان يساعد ويساهم في نجاح المشاريع والاعمال القومية في اي ميدان كانت واعطي لذلك مثلا ، اذا تأسست شركة او مصنع لانتاج نوع من الاقمشة او غيره من البضائع الاخرى ، فان علينا ان نقبل على شرائه واستعماله في استهلاكنا الخاص ، حتى ولو كان يوجد في السوق ما هو احسن منه وارخص من البضائع الاجنبية . فبدون هذا التعاون لا يمكن ان تنجح مشاريعنا . وعلينا ان نقبل دائما على التاجر التونسي والبائع التونسي ، وكل شيء هو تونسي . فلا نشتري من شخص ليس بتونسي ، ولا نشتري انتاجا او بضاعة غير تونسية ، اذا كان عندنا ما يسد حاجتنا ويغنينا عنها ، ولو ضحينا بشيء كبير من راحتنا واموالنا ، فان البلاد التي تريد ان

تنهض ينبغي ان يكون بين افرادها تعاون قوي وتماسك تام ، لا في الميدان السياسي فقط ، بل وفي الميادين الاخرى ايضا ، خاصة الميدانين الاقتصادي والاجتماعي . وهنا ينبغي كذلك على التجار التونسيين واصحاب المؤسسات والشركات التونسية ، ان يدركوا واجبهم هم ايضا ، فيبدّلوا اساليب العرض والمعاملة التي يسيرون عليها الآن ، ويبذلوا اقصى جهودهم لزيادة الرقي والتقدم في اعمالهم .

مثال للتأمل :

واذكر لكم مثالا واحدا على وعي الشعوب الاقتصادي وتماسكها الاجتماعي : ذكر لي صديق ان طالبا عربيا كان يتعلم في لندن ، ويسكن عند امرأة انكليزية كانت تعد له الطعام كل يوم ، وتتولى بنفسها شراء ما يلزمه من السوق . ولم يكن الطالب يحاسبها على مصاريف الطعام اليومية . وحدث ان رأى صدفة في السوق نوعا من البطاطا سعره عشرون فرنكا للكيلو مثلا ، فلما عاد وقت الظهر الى البيت وشرع في تناول طعام الغداء ، قدمت له صاحبة البيت قائمة المصروفات اليومية ليطلع عليها كعادته كل يوم ، ولم يكن يبدي اهتماما فيما مضى الى دقة اسعارها ،

وفجأة عرته دهشة شديدة ذلك انه قرأ في قائمة المصروفات ، ثمن كيلو واحد من البطاطا اربعين فرنكا ، اي ضعف السعر الذي شاهده في نفس اليوم ، ولم يلبث ان وجه كلامه الى السيدة في شيء من الاستنكار قائلا لها: لقد كنت اثق فيك وفي مصروفاتك اليومية ولم اكن اهتم بصحتها لاعتقادي انها مطابقة للواقع غير انني رأيت اليوم في السوق ، وعن غير قصد ، ان سعر البطاطا هو نصف ما اثبته في هذه القائمة ! ولوح بالقائمة امامها ، في حدة ظاهرة .. فنظرت اليه في سخرية واضحة وقالت له :

انك لا تعلم ان تلك البطاطا التي رأيتها اليوم هي بطاطا اجنبية ، واما التي اشتريها لك دائما فهي محلية ، وانا كانكليزية - لا يمكنني ان استهلك بضاعة اجنبية مع وجود بضاعة وطنية ، اما فرق السعر فانه لايحول دون تفضيلنا الانتاج الوطني مهما كان سعره عاليا . واذا كان سعر البطاطا المحلية اغلى فذلك لان الفلاح الانكليزي ينبغي ان يعيش ، وان يكون مستوى عيشه مناسبا مع عصره ومع بقية المواطنين . !!

ونحن في تونس ، يمكن ان يكون تماسكنا مماثلا لذلك او اقوى منه في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ، اذا وعى كل مواطن واجباته ، وحرص ان يقوم بها على الوجه الاكمل، خصوصا وان عندنا من امكانيات النجاح ما لا يوجد في اي بلد اخر . فمنظماتنا الاجتماعية والاقتصادية والنقابية من الوحدة والقوة ما يساعدنا الى ابعد الحدود على النهوض بسرعة كبيرة اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا . وتزداد امكانيات النجاح هذه ، اذا ازداد روح التعاون والمثابرة والاخلاص في نفس كل مواطن . خاصة اولئك الاعضاء المنظمين في وحدات سياسية او اجتماعية او ثقافية . فهم يتصفون بصفات جيدة فيها كل عناصر النجاح ، فكل فرد منهم يتصف بوعي كامل لمشاكل منظمته واعضائها ، ويتصف بالانتباه الدائم لحقوقه وواجباته ، ويتصف بطواعية جيدة للنظام ، وباستعداد دائم للتعاون والعمل داخل وحدته الخاصة . وكل هذه الصفات قلّ ان توجد في الافراد المماثلين له في بلاد اخرى . وهذا ما يدعونا الى الاستفادة منها ، وتعميمها بين جميع المواطنين ، ودعوة الجميع لان يجعلوا قاعدة العيش والحياة والتعامل بينهم هي التعاون . وينبغي ان يزول من قلوبنا وضمائرنا وحياتنا ايضا ، ما نراه في بعض الناس من استغلال وانتهاز واحتكار .

وطننا جميعا :

ان هذه الارض التي نفتخر بانها وطن لنا جميعا، ينبغي أن يحس كل تونسي حقا بانها وطنه ، وأن يشعر بان اخوانه في هذا الوطن يحبونه كما يحبون انفسهم ويعاملونه برفق ومحبة وبنزاهة وضمير شريف .

المستقبل لنا :

أيها المواطنون !

لقد اعطى شعبنا الصغير ، أعظم الامثال في البطولة والتضحية طوال سنوات عديدة من كفاحه ونضاله السياسي ، وإنه لمن واجبه بعد ان ينال استقلاله ، ويبدأ حياته الجديدة ، ان يعطى ايضا اعظم الامثال في التعاون الاجتماعي والاقتصادي . وان يقيم الدليل مرة اخرى على وعيه الاجتماعي والاقتصادي ، كما اقام الدليل من قبل على وعيه السياسي .

أيها المواطنون !

إن المستقبل لنا في بلادنا ، ولنا وحدنا ، فلنعرف جميعا كيف نبني هذا المستقبل ، وكيف نجعله سعيدا لكل ابناء هذا الوطن .!!

للمؤلف

كتب صدرت :

١ – ماي شهر الدماء والدموع «في المغرب العربي»
بغداد ١٩٥١

٢ – الشابي (حياته وشعره) :
الطبعة الاولى بيروت ١٩٥٢
الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٤

٣ – كفاح وحب : بيروت ١٩٥٢

٤ – حصاد القلم : القاهرة ١١٩٥٤

٥ – كفاح الشابي ، او الشعب والوطنية في شعره :
بيروت ١٩٥٤

٦ – نداء للعمل : تونس ١٩٥٥

تحت الطبع :

١ – التعليم التونسي
بين الحاضر والمستقبل

٢ – العرب وابن خلدون

الكتاب الثاني   من سلسلة :

كتاب البعث

مع الشابي

بقلم

محمد الحليوي

يتضمن دراسات وذكريات مختلفة ، مع ثبت بقصائد الشابي وانتاجه الادبي المتعدد الالوان . ويحتوي كذلك على دليل واسع للكتب والمجلات ، والكتّاب والشعراء الذين كتبوا او نظموا عن الشابي

يصدر في غرة نوفمبر ١٩٥٥

وتصل نسخه للمشتركين قبل الموعد باسبوعين

مطبعة الترقى ، نهج القاهرة رقم ٨ ، تونس

بعض مواضيع السلسلة الاولى

نداء للعمل

مع الشابي

نماذج بشرية

الاقتصاد التونسي

الديمقراطية

البربر

افلاس الفقهاء

الثقافة في المغرب العربي

مرآة المجتمع

تونس والشعراء

الثمن : ١٢٠ فرنكا في جميع الاقطار العربية